ثقافات الشعوب





المرآة المسحورة

حكايات شعبية من تركيا

جمع: د. إجناز كانوز
ترجمة: د. عبد الوهاب المقالح

المرآة المسحورة

حكايات شعبية من تركيا

جمع:

د. إجناز كانوز

ترجمة:

د. عبد الوهاب المقالح





المرآة المسحورة

حكايات شعبية من تركيا

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

المرآة المسحورة: حكايات شعبية من تركيا

الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

PZ8.K926.F012 2009
Kúnos, Ignácz, 1862 - 1945.
[Fourty - Four Turkish Fairy Tales]

المرآة المسحورة: حكايات شعبية من تركيا/ جمع إغناز كونوس؛
ترجمة عبد الوهاب المقالح. – ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2009.
249ص: 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-518-5
ترجمة كتاب: Fourty - Four Turkish Fairy Tales
1 – الحكايات التركية. 2 – القصص الشعبية التركية. أ– المقالح، عبد الوهاب.
ب– Pogany, Willy.

مراجعة وتحرير: سامر أبوهواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله التنان



info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+



www.adach.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

المحتويات

هذه السلسلة

تأتـي هـذه السلسـلة التي تجمع تـراث الشعوب مـن الحكايات والأساطـير والخرافات الشعبية، منسجمة مـع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العـالم العربـي. تلـك القيـم والأهداف التـي تسعـى أبوظبي إلى تجسيدهـا، لتشيع ثقافة التسامح والحـوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها ، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعـراق والجنسيـات والثقافات، وجمعها تحـت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

تقديم

في عصر التكنولوجيا والعقلانية والنفعية، قد تبدو حكايات كهذه وكأنها أصداء من عصور الجهل والخرافة والأحلام، وتعبير خيالي هروبي تعويضي عن العجز في مواجهة الظلم والقهر والطغيان. لكن أليست حكايات الجن والسحر والعفاريت والشياطين والملائكة والحيوانات والطيور... الخ جزءاً من تراث الإنسان الفكري والديني والواقعي الذي تشترك فيه كل الشعوب دون استثناء؟ أليس الخيال والتجريد والرمز والأسطورة جزءاً لا يتجزأ من طبيعة العقل البشري؟ أليست الانجازات المادية والعلمية والتكنولوجية سوى تحققات لأفكار خيالية؟

قد يظن بعضهم – وفي ذلك جزء من الحقيقة– أن مثل هذه الحكايات هي مما يلائم الأطفال. وقد لاحظت أنا –شخصياً– صحة ذلك حين بدأت في ترجمة هذه الحكايات وشرعت أحكيها قبل النوم لابنتي ذات الست سنوات من العمر بدلاً من تلك الحكايات التي كنت أقرأها لها من كتب ومجلات الأطفال.

لقد أظهرت ابنتي اهتماماً غير متوقع بهذه الحكايات، وراحت تلح عليَّ دون ملل «احك لي حكاية الأميرة الصامتة»، «احك لي حكاية جمال الورد»، «احك لي هذه، احك لي تلك». ثم إنها لم تعد تكتفي بحكاية واحدة كل ليلة كوسيلة لاستدعاء النوم، بل وجدت أن الحكايات قد صارت وسيلة لطرد النوم، مما جعلني أضطر إلى التظاهر بالنوم وأنا أحكي لها الحكايات كي أساعدها عليه. ولم يقتصر الأمر على هذا، لقد دهشت أن عرفت أنها راحت تحكي الحكايات لأخوتها وأخواتها بلغةٍ وانفعال وأسلوب مثير وغير متوقع.

صحيح أن هذه يمكن أن تعتبر حالةً خاصة مرتبطة بشروطٍ محددة ولا يمكن أن يقاس عليها، لكنني لاحظت أن تلك الحكايات بما تتميز به من خيال وشاعرية ودرامية لابد من أن تمد قارئها بشيءٍ مما قد يشبع رغبةً أو هوى ما لديه، خصوصا أنها في مجملها تمجّد الشجاعة والإقدام، وتحث على الصبر والمثابرة من أجل تحقيق الغايات، وتعلي من شأن قيم الصدق والوفاء والإخلاص، كما تحط من قيم الغدر والطمع والقسوة، كل ذلك وغيره يقدَّم بلغةٍ جميلة وفي قالب درامي شيق. ولعلها بذلك توفر للطفل زاداً تربويّاً غنياً إذا ما أحسن تقديمه بالطريقة الملائمة.

ورد في مقدمة الكتاب الأصلي أن هذه الحكايات مستقلة عن الحكايات الأوربية والشرقية وحتى عن حكايات الليالي العربية، في بيئتها ومضمونها. غير أن هذه مسألة يمكن أن تخضع للبحث الأكاديمي.

الأمر اللافت هو ما أشار إليه جامع الحكايات ومترجمها إلى الإنجليزية بقوله: «إن الحكايات الخرافية التركية ليست كحكايات ألف ليلة وليلة، بل هي حكايات ألف نهار ونهار». ونحن لا ندري على وجه الدقة -إن صح هذا- هل يعود الأمر إلى أن هذه الحكايات تنتهي دوماً نهايات سعيدة، أم يعود إلى أن حكايات ألف ليلة وليلة كانت تحكى في الليل فحسب؟

ليس بالإمكان التحديد الدقيق للفترة التاريخية لهذه الحكايات، مثلها مثل حكايات الشعوب التي تتناقلها الأجيال شفاهاً فتخضع للإضافات والحذف والتغيير، قبل أن تجمع وتدوَّن في كتب، ثم يأتي بعد ذلك دور الترجمة إلى اللغات الأخرى. كل ذلك يجعل من الصعب التحكم بأسلوب الحكايات الأصلي.

وقد اضطررت وأنا أشتغل بترجمة هذه الحكايات أن أعيد قراءة بعض حكايات ألف ليلة وليلة لعلي أستشف شيئاً عن روح الحكايات وأسلوبها. وما استوقفني بهذا الخصوص هو أن

بعض ما تتسم به لغة ألف ليلة هو غلبة السجع وتضمين الأبيات الشعرية، وهو ما ليس متوافراً في هذه الحكايات. وقد بدا لي أنه من الممكن ترجمة الحكايات على هذا النحو، أعني تضمين السجع على أمل أن يعطي هذا الأسلوب القارئ شيئاً ما عن نكهة وتأريخ الحكايات. لكني صرفت النظر عن هذا إذ وجدت أن ذلك سيكون مدعاةً للتكلف، وجعل الترجمة تبدو غير طبيعية، ولا تنقل بالضرورة أسلوب الحكايات الأصلي الذي لا ندري طبيعته على الوجه الصحيح. فضلاً عن أن ذلك قد يتطلب وقتاً أطول دونما ضرورة. فآثرت ترجمتها بالعربية المعاصرة للقارئ العربي المعاصر.

عبد الوهاب المقالح

تمهيد

انتقيتُ حكايات هذه المجموعة ونقحتها بيدي من حديقة التراث الشعبي التركي متعددة الألوان. لم تجمع من الكتب لأن تركيا ليست أرضاً أدبية[1]، ولا توجد فيها كتبٌ من هذا النوع. لكن، بصفتي مستمعاً جيداً لـ«رواة الحكايات» الذين يشكلون صورةً متميزة لحياة العثمانيين الاجتماعية، فقد قمت بتدوين هذه الحكايات من حينٍ لآخر، وها أنذا الآن أقدِّم منها باقةً مختارة للقارئ الإنجليزي. هذه الحكايات هي مما يمكن سماعه يوميّاً في ضواحي (إسطنبول) وفي المنازل المتداعية في حواري القسطنطينية التركية حيث تتحلق النساء حول المواقد ليحكين الحكايات لأطفالهن وصديقاتهن.

لا تطابق هذه الحكايات ولا حتى تشابه تلك الحكايات التي تمثّلها الوعي الأوروبي من المصادر الهندية أو من حكايات

(1) هكذا هي في الأصل، غير أني رجعت إلى زميلي د. فاروق بوزقوز رئيس قسم اللغة التركية في كلية اللغات بجامعة صنعاء، فأنكر هذه العبارة ولم يقبلها إذ أن تركيا تملك تراثًا أدبيا عظيماً، وقد رجح أن جامع الحكايات ومترجمها هو من منطقة القوقاز فذكر ذلك بقصد أو بدون قصد (م).

ألف ليلة وليلة. فكل الحكايات التركية الحقيقية مستقلة عن تلك الحكايات بل إنها تختلف في مضمونها وبنيتها عن النمط الأوروبي. يمكن - حقاً - وضعها ضمن الحكايات الشرقية لجهة اتصالها بالعقيدة وشخصياتها من المسلمين. فالقفطان يغطي أجسامهم والعمائم على رؤوسهم والخفاف في أقدامهم، وكل ذلك يظهر أصلهم الشرقي. ثم إن مآثرهم البطولية وجهادهم وانتصاراتهم هي غالباً من ذلك الصنف الموجود في تراث أي شعب أوروبي. ومن الطبيعي أن الخرافة الوثنية، التي تلازم الجهل، بارزة في هذه الحكايات. ومثل كل الحكايات الفلكلورية الحقيقية، هذه الحكايات ليست خاصة بالأطفال مع أن هؤلاء هم الأكثر انجذاباً إليها، ويأتي بعدهم في الدرجة الثانية النساء. إن هذه الحكايات هي في الغالب من نسيج الخيال في مناخها البهيج السار، أرض الرقة والجمال، حيث يحدث كل شيء بديع مدهش، والشخصية الدرامية فيها هي - كقاعدة عامة - كائنات خارقة.

تنتمي الحكايات التركية كلها - تقريباً - إلى حكايات الجن. إذ تدور تلك المشاهد الرائعة في تلك البلاد الخيالية بعلاقات ملوكها وشاهاتها المتعددة مع حكام عالم الجن.

فالملوك وأولادهم، والسلاطين وبناتهم إما أن أطفالهم هم وحيدو أبويهم، أو أنهم يكونون بين الثلاثة إلى السبعة أخوة وأخـوات الذين ارتبطت حياتهم بالأحداث المعجزة من الميلاد وما تلاه. أقدارهم يتحكم بها كل أصناف الدراويش الأقوياء أو المخلوقات الخرافية الساحرة. هذه المخلوقات التي يتراوح عددها من ثلاثة إلى سبعة وقد تصل إلى أربعين، هي سندهم طوال حياتهم، في حين أن العفاريت هم العقبات التي تحول دون سعادتهم. وإلى جانب العفاريت، هناك التنانين ذات الرؤوس الثلاثة أو السبعة أو أكثر، التي يجب مواجهتها، وكذا المخلوقات الخيِّرة في هيئة الحمام التي تهب للنجدة في الوقت المطلوب. وكل صنف من هذه المخلوقات له مجاله المنفصل الزاخر بالتعاويذ والأسحار. وللحصول عليها لاحقاً وإشراك العفاريت في مساعدتهم، ينطلق أمراء الحكايات في رحلات طويلة مرهقة تعينهم خلالها الأرواح الخيِّرة في الوقت الذي تهاجمهم فيه الأرواح الشريرة. وهذه الأرواح تظهر أحياناً في هيئة حيوانات، وتظهر غيرها في هيئة زهور وأشجار أو عناصر من عناصر الطبيعة، كالرياح والنار، فتكافئ الخيِّر وتعاقب الشرير.

بلاد الجن عند الأتـراك يُتَوصَّل إليها من طريق ذي ثلاث شعب، وفي معظم الحالات لا تُبْلَغ إلا على ظهر «بيجاسوس»[1] أو بمساعدة مخلوقات خرافية أخرى. وعلى المرء إما أن يصعد إلى السماء السابعة فوق الأرض بمساعدة طائر العنقاء أو أن يهبط إلى الأرض السابعة بمساعدة عفريت. العدد الوافر من السرايات والقصور هي تحت تصرُّف أبطال الحكايات، وآلاف الطيور ذوات الريش الرائع البهيج تصدح بأغانيها البديعة، وفي حدائق الزهور تتنوع المشاهد الزاهية الساحرة الألوان.

الحكايات التركية هي أشبه بالكريستال تعكس أشعة الشمس بألوان باهرة، صافية كسماء بلا غيوم، وشفافة كقطرات الندى على ورود متفتحة. باختصار، هي ليست كحكايات ألف ليلة وليلة، بل هي حكايات ألف نهار ونهار.

إ. ك

---

(1) Pegasus: سمك مجنّح خيالي (م).

دبابيس الشعر السحرية

في سالف العصر والأوان عاش سلطان كانت له ابنة غاية في الجمال إلى حد أنه لم يكن لجمالها نظير في العالم أجمع.

كان لزوجة السلطان عبدٌ عربي تبقيه سجيناً في غرفةٍ، وتوجِّه له كل يوم الأسئلة التالية: «هل القمر جميل؟ هل أنا جميلة؟ هل أنت جميل؟»، وكانت إجابته الدائمة التي لا تتغيَّر هي: «كل شيءٍ وكل إنسان جميل». بعد هذا الحوار المسلِّي، كانت السلطانة تغلق الباب عليه وتمضي.

وفي أحد الأيام، لما كانت ابنة السلطان، التي تدعى «نارتينسي»، أو الرمانة الصغيرة، تتنقَّل في السرايا، لمحها العربي ووقع على الفور في حبها. لذا، غيَّر العربي إجابته عن الأسئلة في اليوم التالي على هذا النحو: «القمر جميل، وأنتِ جميلة، وأنا جميل، لكن نارتينسي هي أجمل من الكل».

غضبت السلطانة غضباً شديداً. أما الآن وقد أبصر ابنتها، فالأرجح أن العربي لن يُعجب بعد الآن بأمها. لذلك ذهبت إلى الأميرة واقترحت عليها أن تخرجا معاً للتنزُّه. وفي أثناء النزهة وصلتا إلى مرج أخضر، ولما كان التعب قد أدرك الفتاة فقد استلقت في ظل شجرة ونامت، فتركتها أمها هناك وأسرعت إلى القصر.

ولما استيقظت الأميرة ولم تر أمها شرعت تبكي وتجري خائفةً هنا وهناك، باحثةً عن أمها في كل مكان ولم تفلح في العثور عليها. وفي الحال، ردَّدت صدى صيحاتها وبكائها الحقول والغابات.

صادف أن ثلاثة إخوة كانوا يصطادون في الغابة، وعلى غير توقع، رأوا الفتاة المكروبة. ولما أبصرتهم وكانت لا تزال خائفة مضطربة، ناشدتهم اللطف والحماية، وطلبت منهم أن يقبلوها أختاً لهم. قبل الإخوة الثلاثة أن تكون أختهم وقد غمرتهم الشفقة عليها، ثم مضت معهم إلى بيتهم.

كان الإخوة يخرجون للصيد كل يوم، ثم يعودون بصيدهم فتعدّه الأميرة لهم ليأكلوه. وهكذا مرَّت الأيام بمرح وسرور.

لكن أخبار جمال الفتاة الفائق انتشرت إلى أطرافٍ بعيدة. كما حكى الإخوة الثلاثة عن عثورهم عليها في الغابة، وكيف أخذوها إلى بيتهم لتكون أختاً لهم. كل هذا وصل إلى مسامع السلطان وأمها التي كانت في غاية الهياج بسبب علمها أن ابنتها لا تزال حيةً ترزق. لقد اعتقدت أن الحيوانات المتوحشة قد مزقت جسدها والتهمتها منذ أمد طويل.

ذهبت الأم إلى ساحرةٍ وطلبت منها أن تخبرها بما يجب أن تفعله كي تتخلص من ابنتها. أعطت الساحرة السلطانة دبوسي شعر سحريين وقالت إنها إن ثبتتهما فيٍ شعر الأميرة فإنها ستموت حتماً. أخذت المرأة الدبوسين وتنكرت في ثياب متسولة بواسطة ارتدائها أسمالاً بالية. وحزمت عدة أشياء في صرَّةٍ وذهبت إلى الفتاة.

كانت الأميرة تبقي الباب مغلقاً حين يذهب الإخوة الثلاثة للصيد، ولما طرقت المرأة الباب لم تجب عليها. صاحت المرأة: «أوه، يا طفلتي! لماذا لا تفتحين الباب؟ لقد قطعت مسافةً طويلة من الأناضول حتى وصلت إلى هنا وأحضرت معي هدايا لأولادي، على الأقل خذي الهدايا مني».

عندئذ أجابت الفتاة من خلال شقٍّ في الباب قائلة: «الباب مغلق».

ردت المرأة: «يا بنيتي، لما سمعت أنك أختهم، أحضرت لكِ أيضا هدية، دبوسي شعر، قرّبي شعرك من ثقب المفتاح لأثبتهما فيه».

لم تشك البنت بأن يلحقها أي أذى، فقرَّبت شعرها من فتحة المفتاح. وغرزت المرأة الدبوسين في شعرها فسقطت ميتة على الفور. وبعد أن أكملت ثأرها، عادت السلطانة مباشرة إلى السرايا.

عاد الإخوة في المساء من الصيد ودخلوا البيت فأبصروا جثة الفتاة الميتة مستلقية بجوار الباب. رفعوا عقيرتهم بالصياح وضربوا كفّاً بكف يائسين. ولما هدأ حزنهم قليلاً، بدأوا يعدُّون للدفن. وضعوا جثة أختهم في صندوقٍ ذهبي، وحملوه إلى الجبل ثم علقوه بين شجرتين.

وحدث عقب ذلك مباشرة أن ذهب ابن أحد السلاطين للصيد فأبصر الصندوق الذهبي معلقاً. أنزله، وفتحه فأبصر الفتاة الجميلة مستلقية فيه فوقع في حبها حباً جماً. حمل الصندوق

إلى بيته ووضعه في جناحه الخاص، وكلما خرج حرص على أن يُغلق الباب. قضى الأمير أيامه في الصيد ولياليه في النظر والتحسر على الفتاة الميتة.

في تلك الأثناء قرر السلطان الذهاب إلى الحرب، لكن الوزير حاول ثنيه عن ذلك ناصحاً إياه أن يرسل ابنه ولي العهد بدلاً منه. لذلك استدعى السلطان ابنه وأمره بالذهاب إلى أرض المعركة. رجع الفتى إلى جناحه، وفتح الصندوق وألقى نظرةَ وداع أخيرة على مثوى الفتاة الجليل. بعدئذٍ أغلق الغرفة وأمر بألا يدخلها أحد في غيبته، ثم غادر ذاهباً إلى ميدان القتال.

لقد أغفلنا أن نذكر أن ولي العهد كان خاطباً. وقد صادف أن الأميرة التي كان سيتزوجها سمعت بجناح الأمير المغلق، وعزمت على اكتشاف السر الذي يخبئه فيه. لم يُجدِ نفعاً إخبارها أن الأمير حرَّم على أي إنسان الدخول إلى ذلك الجناح حال غيابه. هزّت الباب بقوةٍ حتى فتحته ودخلت الحجرة. ولما رأت الفتاة الميتة في الصندوق، صاحت في غضب: «من هي هذه الفتاة التي يحرسها الأمير ليل نهار!». ثم نظرت إليها نظرةً فاحصة، وأبصرت دبوسي الشعر مثبتين في رأسها. وضعت يدها وسحبتهما، وما كادت تفعل ذلك حتى تحوَّلت الفتاة إلى طائرٍ وطارت بعيداً.

انقضى وقت طويل، وانتهت الحرب، وعاد ولي العهد إلى موطنه. أسرع إلى جناحه ليجد الصندوق فارغاً فانتابه الحزن والأسى. سأل عبدهُ في غضبٍ بالغ: «من الذي تجرَّأ على دخول جناحي؟».

ردَّ العبد: «الأميرة التي ستكون عروستك».

جأر الأمير: «وما الذي فعلته بها!».

ومنذ ذلك الحين وقع الأمير مريضاً وصارت حالته تتدهور يوماً بعد يوم.

أما الآن وقد انتهت الحرب، فإن السلطان بدأ الاستعدادات للاحتفال بزواج ابنه، وقد أقيم الزواج في الوقت المحدد.

كان الطائر يجيء كل يوم إلى حديقة القصر ويحط على شجرة ويسأل البستاني: «كيف هو ولي عهدي؟».

ويجيب البستاني: «إنه ينام».

«متّعه الله بالنوم وبالصحة التامة، وجعل الشجرة التي أجلس عليها تذوي!».

تكرر هذا الحوار يوماً بعد يوماً، وكانت الأشجار تذوي الواحدة بعد الأخرى. لفت البستاني اهتمام ولي العهد إلى الأمر، خاشياً أن حال الأشجار إن استمر على هذا النحو فسيأتي يومٌ لا تبقى فيه شجرةٌ واحدة حيّة في الحديقة كلها. تضاعف فضول الأمير بهذا الخصوص فنصب شَرَكاً لاصطياد الطائر. وقبض عليه ووضعه في قفصٍ ذهبي وجعل يمتّع نفسه بمنظر ريشه الرائع.

أوّل ما وقعت عينا زوجة الأمير على الطائر، تعرفت عليه على الفور كونه فتاة الصندوق المقفل وعزمت أمرها على قتله بأسرع وقت ممكن. وجاءت فرصتها في يومٍ خرج فيه الأمير في رحلةٍ. ما كاد ولي العهد يتوارى حتى أمسكتِ الطائر وعصرت رقبته ورمته إلى الحديقة، ولما عاد الأمير إلى البيت، أخبرت زوجها أن القط التهمه. أسف الأمير لما حدث غير أنه لم يدر ماذا يمكن فعله. على أي حال، حين قُذِف الطائر إلى الحديقة نبتت في المكان أجمةُ وردٍ حيث سقطت قطرات دمه. وفي أحد الأيام خرجت زوجة البستاني لتجيء ببعض الزهور، ومن بين تلك الزهور المقطوفة كانت إحدى الورود. وُضِعت كلها في مزهرية، لكنها سرعان ما ذوت كلها ما عدا تلك الوردة فقد ظلت طريةً كأنها نمت في المزهرية ذاتها. صاحت المرأة متعجبة: «ما أجمل هذه الوردة؟ إنها لا تذوي!».

وعندما استنشقت عبيرها المبهج تغيَّرت فجأةً إلى طائر أخذ يطير هنا وهناك في الغرفة. دهشت المرأة، ولما استعادت رباطة جأشها، أخذت المخلوق الجميل وربَّتت عليه فلمحت على رأسه علامةً أشبه بماسةٍ لامعة. فحصتها فوجدتها دبوساً. أخرجته، ويا للدهشة! لقد تحوَّل الطائر إلى فتاة راحت تحكي للمرأة المذهولة حكاية ما تعرضت له من مغامرات.

ذهبت المرأة في الحال إلى السرايا، وانسلت إلى جناح الأمير الخاص وقصت عليه كل شيء. كانت سعادته بلا حدود حتى إنه لم يفه بكلمة واحدة من فرط البهجة، طلب من المرأة أن ترجع إلى البيت وتعتني بالفتاة حتى يجيء إليها هو بنفسه في المساء.

لم تكد أشعة شمس الغسق تغيب حتى كان ولي العهد في منزل زوجة البستاني. وما إن أبصر الفتاة حتى وقع مغشياً عليه، وعندما استعاد وعيه طلب منها أن تحكي له حكايتها لأنه أراد أن يسمعها من فمها هي. ولما غادر منزل البستاني أخذ معه الفتاة، غير أنه وهو في طريقه إلى القصر قفز إلى أمامه قرد. راح الأمير يطارده وغاب طويلاً، فشعرت الفتاة بالتعب وغرقت في النوم.

علمت الآن أمها أن الفتاة اختفت من الصندوق، ولكي تتأكد أنها لن تسبب لها بالمزيد من الإزعاج، غادرت السلطانة

السرايا تبحث عن الفتاة، عازمةً على قتلها. وبعد تجوال وبحث طويلين مرّت المرأة بالبقعة التي نامت فيها الفتاة. وبابتهاج مكتوم، قالت: «أوه! ها قد وقعتِ في يدي مرّة ثانية!».

ولما لم يفلح الأمير في القبض على القرد، عاد مسرعاً إلى الفتاة، خائفاً أن يصيبها أي أذى آخر. وصل إلى البقعة فوجد الفتاة نائمة وبجوارها امرأة. وحين سألها عن نيتها، قالت المرأة إنها كانت تعتني بالفتاة فحسب وإلا لوقعت مريضة. وفجأة خطرت للأمير فكرة، فسأل المرأة عمّن هي وما هي. أجابت إنها مخلوق فقير منبوذ، لا يملك شيئاً، ولا صديق له ولا قريب في العالم أجمع. عندئذٍ قال الأمير: «تعالي معي، وسوف أكافئك لعطفك».

على أي حال، استيقظت الفتاة في تلك اللحظة، وتعرّفت على أمها، وأخبرت الأمير سراً بذلك.

مضى الثلاثة معاً إلى السرايا، سرت المرأة للفرصة التي واتتها لإزاحة ابنتها من طريقها إلى الأبد. غير أنهم ما إن وصلوا إلى القصر حتى أمر الأمير بشنق المرأة وكذلك زوجته عقوبة لقسوتهما الغادرة، ثم أمر بالبدء في الاستعدادات لحفل زواجه بفتاة الصندوق الذهبي. وهكذا عاشا بعدها في سعادة دائمة.

حجر الصبر وسكين الصبر

عاشت امرأة فقيرة وابنتها. وحين كانت الأم تذهب للغسيل، كانت ابنتها تبقى في البيت تعمل في التطريز. وذات يوم كانت الفتاة تواصل عملها بجوار النافذة. طار عصفور داخلاً إلى البيت وقال: «أوه، يا فتاتي المسكينة، إن نصيبك هو مع شخصٍ ميت».

قال ذلك وطار في الحال. تبلبل عقل الفتاة واضطرب كليّاً، ولما عادت أمها في المساء أخبرتها ابنتها عمّا قاله العصفور. فنصحتها أمها: «تأكدي دائماً أن تغلقي الباب والنافذة بإحكام وأنت تعملين».

في اليوم التالي، أغلقت الفتاة النافذة والباب واستأنفت عملها، وفجأةً، برررر! - حط العصفور على طاولة تطريزها وقال: «أوه، يا فتاتي المسكينة، إن نصيبك هو مع شخصٍ ميت».

قال هذا وطار كما فعل سابقاً. صارت الفتاة أكثر خوفاً وأخبرت أمها عندما عادت. قالت لها أمها تنصحها: «غداً، أغلقي النافذة والباب بإحكام، وازحفي إلى الدولاب واشتغلي هناك على ضوء الشمعة».

غادرت أمها في صباح اليوم التالي كعادتها، وأغلقت هي الباب والنافذة بإحكام، وزحفت إلى الدولاب، وأشعلت شمعةً وبدأت عملها. ولم تكد تخيط بضع رتقات إلاّ و برررر... وإذا بالعصفور أمامها: «أوه، يا فتاتي، إن نصيبك هو مع شخصٍ ميت».

هكذا كرر مقولته وطار.

لم يعد للفتاة المسكينة عقلٌ يساعدها على مواصلة العمل في ذلك اليوم فتركت التطريز جانباً، ولم تستطع أن تفعل شيئاً سوى التفكير بتلك الكلمات الغامضة وعمّا يمكن أن تعنيه. حتى الأم نفسها انزعجت حين سمعت عن زيارة العصفور الثالثة، وقررت أن تبقى في البيت في اليوم التالي كي ترى نذير هذا المخلوق. لكن العصفور لم يعد مرةً ثانية.

منذ ذلك الحين، لا الأم ولا البنت غادرتا المنزل، بل ظلتا تنتظران خشية أن يرجع العصفور. وذات يومٍ جاءت مجموعة من بنات الحارة للزيارة وطلبن من المرأة أن تسمح لابنتها أن تخرج معهن لتسلي نفسها وتحاول أن تنسى الحزن. لكن الأم كانت خائفة من السماح لابنتها بالخروج، إلاَّ أن الفتيات وعدنها ألاَّ يتركن ابنتها تغيب عن أنظارهن لحظة واحدة، فاقتنعت في نهاية الأمر.

خرجت الفتيات إلى المروج، ورقصن وتسلّين حتى غروب الشمس. وفي طريق العودة وقفن عند أحد الينابيع ليطفئن عطشهن. وذهبت ابنة المرأة المسكينة أيضاً إلى النبع، وبينما تشرب ارتفع سور كأنما بفعلٍ سحري وفصلها عن رفيقاتها. لم يحدث أن رأى أحدٌ ذلك السور هناك من قبل. كان من الارتفاع إلى درجة أن أحداً لا يستطيع يتسلقه ومن العرض فلا يستطيع أحد أن يعبره. أصاب الفتيات كلهن الرعب، فبكين وانتحبن وجرين يطلقن صيحات الحيرة والاضطراب واليأس، تُرى ما الذي سيحل بالفتاة المسكينة وبأمها!

قالت إحداهن: «لقد قلت لكنّ إنه ما كان ينبغي لنا أن نأخذها معنا».

وسألت أخرى: «ما الذي سنقوله لأمها؟ كيف نستطيع أن نواجهها؟»).

وقالت ثالثة: «إنها غلطتك، أنتِ من اقترحت هذا».

وهكذا ظللن يتجادلن وهن يحدّقن في السور العملاق.

وقفت الأم عند الباب تنتظر بقلق عودة ابنتها. أقبلت الفتيات يبكين بصوتٍ مرتفع، ولم يجدن الشجاعة لإطلاع المرأة المسكينة بما حدث. مهما يكن، فقد علمت وسرعان ما جرت إلى السور وهناك كان الجو كله مفعم بالنواح، الأم من جانب وابنتها في الجانب الآخر.

تعبت الفتاة من البكاء فغرقت في النوم، وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي، أبصرت باباً كبيراً في السور. فتحت الباب وأبصرت سرايا بديعاً فخماً هو أجمل مما لم يخطر لها في الأحلام. دخلت إلى حجرة المدخل وأبصرت أربعين مفتاحاً معلّقة في الجدار. أنزلت المفاتيح وأخذت تفتح الحجرة بعد الأخرى، فأبصرت في واحدةٍ فضةً وفي الأخرى ذهباً وفي الثالثة ماساً وفي الرابعة زمرداً، في كل حجرة أحجار كريمة ثمينة تختلف عما في الأخريات، حتى شرعت عيناها تؤلمانها من بريق المجوهرات والأحجار الكريمة.

وعندما بلغت الفتاة الحجرة الأربعين، رأت فيها سيِّداً وسيماً يجلس على نعش، وبجواره مروحةٌ من اللؤلؤ، وعلى صدره كتابةٌ تقول: «أيّاً كانت من تُهوِّيني وتصلي بجانبي أربعين يوماً ستنال نصيبها». تذكرت الفتاة الآن كلمات العصفور الصغير عن أن نصيبها هو مع شخصٍ ميت.

أخذت تصلي، وجلست والمروحة بيدها بجوار الجثة. راحت تحرِّك المروحة وتصلي حتى أكملت أربعين يوماً. وفي الصباح الأخير نظرت من خلال النافذة وأبصرت فتاةً عربية أمام القصر. دعتها للدخول وطلبت منها أن تواصل تحريك المروحة، بينما هي – الفتاة البيضاء– اغتسلت ورتبت الغرفة.

أبصرت الفتاة العربية الورقة المكتوبة فقرأتها، ولما كانت الفتاة البيضاء في الخارج، استيقظ الفتى. تطلَّع حوله ورأى العربية، فعانقها ودعاها زوجته الموعودة. لم تستطع الفتاة المسكينة أن تصدق عينيها عندما رجعت إلى الغرفة، وقد اكتملت دهشتها عندما خاطبتها العربية قائلة: «أنا، ابنة السلطان، لا أخجل من الذهاب في هذا الثوب المبتذل، ومع هذا، فها هي ذي الفتاة المحلية تتجرَّأ على الظهور أمامي بمثل هذا البهرجة!».

ثم طردتها من الحجرة وأمرتها أن تذهب إلى المطبخ وتهتم بعملها. لم يدر السيِّد ما قصدته بذلك، لكنه لم يستطع أن يقول شيئاً، فالفتاة العربية هي زوجته، والأخرى هي الطباخة.

اقترب العيد، وطبقاً للعادات، ودَّ الحاكم أن يقدِّم الهدايا لكل خدمه. طلب من الفتاة العربية أن تقول له أي هدية تفضلها. فطلبت ثوباً لم تَخِطْهُ إبرةٌ ولا قصّه مقص. فذهب الباشا إلى المطبخ وسأل الفتاة عمّا تريده من هدية. قالت: «حَجَر صبر أصفر، وسكينة صبر بنيَّة، أرجوك جئني بالاثنين».

ذهب الباشا وأحضر الثوب، أما حَجر الصبر وسكين الصبر فلم يستطع العثور عليهما في أي مكان. ما كان ليرجع من دونهما إن استطاع أن يتحاشى ذلك، فرحل في إحدى السفن.

وحين قطعت السفينة نصف رحلتها توقفت فجأة، وما عادت تتحرك لا إلى الأمام ولا إلى الخلف. خاف القبطان واستدعى المسافرين كلهم وأخبرهم أنه لابد من أن رجلاً على ظهر السفينة قد أخفق في الوفاء بوعده، وهذا هو السبب في أن السفينة لا تستطيع أن تتقدم. حينئذٍ تقدم الحاكم واعترف أنه هو ذلك الشخص. لذلك تُرِك على الشاطئ حتى يحقق وعده

ثم يعود إلى السفينة. تنقل الحاكم من مكانٍ إلى مكان حتى بلغ نبعاً غزيراً. وما كاد يستند على حجرةٍ حتى ظهر جنيّ غليظ الشفتين وسأله عما يريد، قال: «أريد حجر صبر أصفر وسكينة صبر بنّية».

وفي خلال ثانية كان الشيئان موضوعين في يد الحاكم فعاد فرحاً إلى المركب ثم رجع إلى البيت في الوقت المحدد لاحتفالات العيد. أعطى زوجته الثوب، وأخذ حجر الصبر وسكينة الصبر إلى المطبخ.

تضاعف حب الاستطلاع عند الحاكم عمّا ستفعله الفتاة بهذين الشيئين، لذا انسل ذات ليلة إلى المطبخ واختبأ هناك وانتظر التطورات. أخذت الفتاة السكين في يدها ووضعت الحجر أمامها وأخذت تحكي قصتها. ردَّدت كلمات العصفور الصغير، ووصفت ما تعرضت له هي وأمها من قلق ومخاوف. وبينما هي تواصل حكايتها بدأ الحجر ينتفخ وينتفخ ويدمدم كأنه حيوان. واصلت الفتاة حكايتها عن كيف وصلت إلى قصر الحاكم، وكيف صلّت بجانبه وهوَّته بالمروحة أربعين يوماً، وكيف طلبت من العربية في الأخير أن تريحها لبعض الوقت حين ذهبت لتغتسل وترتب الحجرة. انتفخ الحجر أكثر فأكثر وأرغى

وازبد كأنه على وشك أن ينفجر. وواصلت الفتاة حكايتها، تحدثت عن كيف خدعتها المرأة العربية، وكيف أخذ الحاكم العربية زوجةً له بدلاً منها. وكأنما للحجر قلب، تنهَّد وانتفخ، وحين أكملت الفتاة قصتها لم يعد الحجر يحتمل المزيد فانفلق إلى نصفين.

عندئذٍ أخذت الفتاة السكين وصاحت: «يا حجر الصبر الأصفر، لم تستطع الاحتمال مع أنك حجر، فهل عليَّ أنا أن أحتمل وأنا الفتاة الضعيفة؟».

ولولا أن الحاكم قفز من مخبئه وأمسك يدها لكانت قد غرزت السكين في جسدها. صاح الفتى: «أنت نصيبي الحقيقي!».

ثم أخذها وأحلَّها محل المرأة العربية. أعدمت المرأة المزيفة، واستدعيت أم الفتاة إلى القصر حيث عاشوا جميعاً بسعادة تامة. في بعض الأحيان، يطير عصفور داخلاً من نافذة القصر، ومغنيًّا بفرح: «أيتها الفتاة! أيتها الفتاة السعيدة! لقد نلت قسمتك».

الأمير التنين وزوجة الأب

عاش في الزمان الغابر سلطان لم ينجب أطفالاً. ولما كان يتجوَّل ذات يومٍ مع وزيره رأى تنّيناً بصحبة خمسة أو ستة تنانين صغيرة. اشتكى السلطان، قائلاً: «أوه، يا إلهي! لقد مننت على هذا المخلوق بكل هذا العدد من الأولاد. لو أن واحداً من أبناء ذلك التنين قد نقص وأنك، يا الهي، قد وهبتني طفلاً واحداً!».

واصلا سيرهما حتى حل الظلام فعادا إلى السرايا. مر الوقت، ووقعت زوجة السلطان في إحدى الليالي مريضة جداً. أُرسل في طلب الممرضات البارعات إلى كل مكان على وجه السرعة. ولم تكن هنالك صعوبة في العثور على واحدة، لكن المرأة ما إن وصلت إلى جوار سرير المريضة حتى وقعت ميتة. وبسرعة جيء بممرضة أخرى ماتت هي أيضاً بمجرد وصولها. باختصار، كل أولئك الممرضات اللاتي استقدمن لمعالجة السلطانة وقعن صريعات بمرض غامض.

وكان في القصر الملكي خادمة معها ابنة زوج تُكِنُّ لها كراهية شديدة. هذه الحادثة المتعلقة بالسلطانة جعلت الخادمة تفكر بأن الفرصة للتخلص من ابنة الزوج قد واتتها. وما إن سمعت بأن كل الممرضات قد متن، حتى توجّهت مباشرة إلى السلطان وقالت: «سيدي وسلطاني، إن لي ابنة بارعة في فن التمريض. إن أنت سمحت لها أن تأتي، فإن السلطانة قد تحظى بفرصة الشفاء».

أرسل السلطان عربة للمجيء بالفتاة. لكن الفتاة كانت جاهلةً تماما بأمور التطبيب وسألت أباها عمّا يجب أن تفعله. أجابها أبوها قائلاً: «لا تخافي، يا بنيتي. في طريقك إلى القصر، توقفي قليلاً عند قبر أمك، وادعي لها، لأن الله دائماً يساعد أولئك الواقعين في محنة. بعد ذلك، توجهي واثقة من نفسك إلى السرايا».

صعدت الفتاة إلى العربة، واتجهت إلى قبر أمها وذرفت دموعاً غزيرة في حزنها ويأسها. وبينما تتوسل إلى الخالق ليساعدها، سُمِع صوتٌ صادرٌ عن القبر يقول: «عندما تصلين إلى السلطان، أطلبي إبريقاً من الحليب، بعد ذلك اذهبي إلى السلطانة».

عادت الفتاة إلى العربة، ووصلت إلى القصر، وطلبت إبريقاً من الحليب، وأخذته ودخلت حجرة السلطانة. وسرعان ما عادت حاملةً أنباء ولادة أمير صغير، يشبه شكله شكل التنين. لم يُسرّ السلطان لهذا النبأ، لكنه حاول إقناع نفسه الآن بأنه قد صار له وريثاً. وللاحتفال بهذه المناسبة الميمونة ذبحت الخراف وحُرِّر العبيد.

ولم يمض وقتٌ طويل حتى جاء الوقت ليبدأ الأمير تعليمه. استدعي المربُّون الذين كانوا يقتلون الواحد بعد الآخر بواسطة التنين من قبل أن يحظوا بفرصةٍ للبدء في تعليمهم. وبهذه الطريقة لم يبق تقريباً أي مربٍّ في البلاد. وبسماعها ذلك، ذهبت زوجة الأب مرةً ثانية إلى السلطان وقالت: «مولاي وسلطاني، الفتاة التي ساعدت السلطانة في ولادة التنين تستطيع أيضاً أن تقدِّم التعليم المطلوب للأمير التنين».

أمر السلطان بإحضار الفتاة. وقبل مجيئها إلى القصر الملكي، زارت قبر أمها. وبينما تصلي وتطلب من الله الحماية والحرية، امتدت إليها يد أمها خارجة من القبر وقدَّمت لها عصاً قائلة: «خذي هذه العصا، يا بنيتي، وإن هاجمك التنين، ليس عليك إلا أن تلوِّحي بهذه العصا وسوف يتراجع».

وهكذا، أخذت الفتاة العصا واتجهت إلى السرايا. وعندما اقتربت من ولي العهد لتقدم له تعليمها، حاول أن يعضها لكنه ما أن رأى العصا حتى ارتدّ عن قصده. وأظهرت الفتاة بعد وقت أن تعليمها وجهدها قد أتيا بنتيجة مثمرة لدرجة أن السلطان كافأ الفتاة بكومةٍ من الذهب، وسمح لها أن ترجع إلى بيتها.

مرَّت السنوات، وصار الأمير التنين في سن الزواج. فكر السلطان بالأمر وقلّبه محزوناً على وجوه شتى، وانتهى إلى أنه لا مناص من العثور على زوجة لابنه الوريث. وأخيراً عُثِر على عروس للأمير وتم العرس، غير أن التنين التهم عروسته ليلة الزفاف. وكان هذا هو حظ العروسة الثانية، وباختصار، كان مصير كل عروسة زُفَّت إليه، أن تقتل وتُلتهم.

والآن، جاءت زوجة الأب إلى السلطان، وقالت: «مولاي وسلطاني، الفتاة التي ساعدت في ولادة الأمير وفي تعليمه يمكنها أيضاً أن تكون زوجة مناسبة».

سرَّ السلطان للاقتراح، وعلى الفور أرسل في طلب الفتاة. قبل الامتثال للاستدعاء الملكي، ذهبت إلى قبر أمها وسكبت أحزانها فيه. وسُمعَ صوت الميتة في المقبرة يقول: «يا بنيتي، خذي جلد القنفذ هذا واجعليه قناعاً. وحين تذهبين إلى التنين سيحاول أن

يؤذيك فيجرحه الشوك. عندئذٍ سيقول لك: انزعي القناع، فأجيبيه: سأنزع القناع إن أنت خلعت ملابسك. وعندما ينزع ملابسه، خذيها واقذفيها في النار. حينذاك سيفقد شكله التنيني ويظهر في شكله الإنساني».

وفي الوقت المحدد، وصلت الفتاة إلى القصر واقتيدت إلى الجناح الخاص بالأمير التنين، حيث حفل الزواج. ولما صارا لوحدهما حاول التنين أن يهجم على عروسته، لكن شوك القناع حال دونه. قال: «انزعي قناعك».

قالت بشجاعة: «سأنزع القناع فقط إن أنت نزعت ملابسك».

ومن دون تردد خلع التنين ملابسه حتى آخر قطعة، فأخذتها الفتاة ورمتها كلها في النار، ويا للدهشة! بدلاً من التنين المرعب وقف أمامها فتى وسيمٌ.

حين دخل العبيد إلى الجناح في صباح اليوم التالي وجدوا العريسين في غاية السعادة وكامل الصحة. فسارعوا إلى حمل الأخبار السارّة إلى السلطان الذي أمر باحتفال عظيم وإعداد وليمة فخمة تكريماً وتخليداً لهذه المناسبة. الفتاة التي حررت

الأمير من رقيته السحرية استقبلت من قِبل كلٍّ من في القصر باحتفاء بالغ واحترام لا حدود له.

بعد وقت قصير من هذه الأحـداث، نشبت الحـرب بين سلطاننا وسلطان البلد المجاور. رغب الملك نفسه أن يشارك في الحملة الحربية، لكن ولي العهد ترجّاه أن يسمح له بالذهاب بدلاً منه. وبعد رفض وتثبيط طويلين، سمح السلطان للأمير أن يذهب إلى ميدان القتال.

ولما كان الأمير غائباً في معسكره، فكرت زوجة الأب القاسية بالخطوات التي عليها أن تتبعها للقضاء على زوجته. كتبت رسالة باسم الأمير إلى السلطان يطلب منه فيها أن يبعد زوجته. وعندما استلم السلطان الرسالة، أُحضرت زوجة الأمير، وما إن علمت بفحوى الرسالة حتى قالت: «بمعرفتي أن الأمير لم يعد يحبني، فليس أمامي سوى أن أغادر القصر».

حاول السلطان أن يهدّئها مؤكداً لها أنه يعتقد أن الرسالة هي من تدبير عدوٍ ما، لكن ذلك لم يقنعها، ولم يكن هناك من شيء يمكن أن يثنيها عن عزمها. قالت: «سوف أذهب لأن زوجي بالتأكيد قد وجد له واحدةً أخرى أجمل مني، وإلاّ ما كان له أن يكتب رسالةً كهذه».

قالت هـذه الكلمات وانسحبت من القصر باكية. متجولة في الغابات والجبال، وفي السهول والوديان، وعابرة البحر، وصلت ذات يوم إلى نبعٍ أبصرت عنده نعشاً يرقد فيه ميّتاً فتى جميل.

سألت نفسها: «ما معنى هذا؟»، وبينما هي مستغرقة في التفكير وهي ترتعد من الخوف، حلّ الظلام. بحثت حولها ووجدت مخبأ بجوار النبع، وعند منتصف الليل رأت أربعين حمامة تطير نحو تلك البقعة. ظلت تتأمل الحمام فرأت أن كل الحمام حطّ على حافة الماء، ثم هززن أنفسهن وتحوّلن في الحال إلى فتيات تقدّمن صوب النعش. إحداهن أخذت صولجاناً ولامست به الفتى الميت ثلاث مرات، فنهض كأنه كان نائماً. ظللن يلعبن معه طوال الليل، وعند الفجر رقد الفتى مرةً ثانية في النعش ولمسته الفتاة بالصولجان ثلاث مرات فإذا هو ميت كما كان، بعدئذٍ ذهبت الفتيات إلى النبع وهززن أنفسهن وعدن إلى شكلهن كحمام وطرن بعيداً.

رأت زوجة الأمير كل ذلك من مخبئها. ولما لم يكن ثمة من أحد، انسلت إلى جوار النعش، والتقطت الصولجان الذي تركته الجنيات خلفهن، لامست به الفتى ثلاث مرات فاستيقظ في الحال. حين أبصر الفتاة قال: «من أنتِ؟».

أجابت: «من أنتَ، ومن كانت الفتيات اللائي زرنك في الليل؟».

عندئذٍ قال الفتى: «إنهن أربعون جنيّة سرقنني في طفولتي».

أقسم كلٌّ من الفتى المبعوث والفتاة المهجورة أن يظلا صديقين إلى الأبد وقررا أن يتزوجا. أحبَّها لإخلاصها ووفائها، وعاشا معاً سعيدين تماماً لبعض الوقت. وبعدئذٍ، بدأ الفتى يبدو شاحباً قلقاً حتى إنه قال لها ذات يوم: «لقد أهملتكِ الأربعون جنية لحد الآن، لكن، حين يسمعن بزواجنا سوف يأتين ويقتلننا. وسيكون من الأفضل لك أن ترحلي من هنا إلى أمي. باستطاعتك أن تعيشي هناك بأمان، وسنرى ما الذي كتبه الله لنا».

وهكذا، رحلت الفتاة بقلب كسير للعيش مع أم الفتى.

طرقت الباب، وتوسلت السماح لها بالدخول ومنحها مأوى لوجه الله، وحكت قصتها وقالت أيضاً إنها طردت من بيتها وليس

لها من صديق في هذه الدنيا. أشفقت أم الفتى التي مرَّت هي نفسها بأصناف شتى من الأحزان المتواصلة، على الفتاة واستقبلتها في المنزل. وفي تلك الليلة ذاتها ولد لها طفل.

وبعد بضعة أيام، ظهر الفتى في هيئة طير حطَّ في نافذة غرفتها، وسأل: «كيف أنتِ؟ وكيف هو الطفل؟».

أجابت المرأة: «نحن الاثنان بخير».

حدث أن سمعت أم الفتى الحوار وسألت المرأة عمَّن كان ذلك الطائر. عندئذ أخبرتها الشابة بكل ما تعرفه وبكل ما حدث. صاحت المرأة مخفية الفرحة بداخلها: «أوه، إن ذلك الصبي هو ابني فعلاً».

ومنذ تلك اللحظة أحبت الفتاة ولم تدر كيف تحتفي بها ولا ما الذي يمكنها أن تفعله لها، أحضرت لها ملابس أفضل، وأحاطتها بكل العناية الممكنة. قالت لها ذات يوم: «يا ابنتي العزيزة، إذا ما جاء ذلك الطائر مرةً ثانية وسأل عما يفعله الطفل، أخبريه أنه غاضبٌ من أبيه لأنه لا يجيء لرؤيته. وإن هو دخل، عندئذٍ، إلى الغرفة، اسأليه عن الطريقة التي يستطيع بها أن ينال حريته من سيطرة الجنِّيات».

وفي اليوم التالي ظهر الطائر مرةً ثانية وسأل الأسئلة المعتادة، فأجابته المرأة: «الطفل عاتبٌ عليك».

«لماذا؟».

«لأنك حتى الآن لم تره».

«حسنٌ، إذن، افتحي النافذة، ودعيني أدخل».

فتحت النافذة، وتحلّى الطائر عن هيئته ودخل إلى الغرفة. وبينما هو يداعب الطفل، قالت له العجوز: «يا بني، أما من سبيلٍ لتحريرك من الأربعين جنِّية؟». أجاب الفتى: «هناك طريقة بسيطةٌ وصعبة في آن».

ثم شرح أنه لكي تتحقق هذه الغاية، فلابدّ من أن تقذف هيئة الطير لديه في تنُّور مشتعل والجنيات سيعرفن هذا ويصرخن: «إن سلطاننا يحترق!»، وسيقذفن بأنفسهن في التنور المشتعل لينقذنه، لو أنه أمكن إغلاق التنور لحظتها بسرعة، فإن الجنِّيات كلهن سيحترقن، وبذلك يتحرر من رقيتهن.

وهكذا، وجهت الفتاة خدمها أن يعددن التنور، وعلى الفور رمت هيئة الطائر وسرعان ما جاءت الجنيات الأربعون وصحن: «إن سلطاننا يحترق!» ثم طرن مباشرة إلى التنور. وأغلق الباب

بإحكام، وهكذا هلكت الجنيات كلهن. وتحرَّر الفتى عندئذ من رقية الجنيات، فهبُّوا جميعاً يعانقون بعضهم بعضاً باكين ضاحكين من شدة الفرح.

وفي الوقت الذي كان الفتى والفتاة يقضيان أيامهما في سلام، عاد الأمير – زوج الفتاة الأصلي– من الحرب، وكانت أولى الكلمات التي تفوّه بها هي: «أين هي زوجتي؟»، أخبره السلطان أنها غادرت الوطن بناءً على رسالةٍ منه هو. وفي يأسه، عزم الأمير أن يذهب للبحث عنها.

حمل حقيبةً خفيفة الوزن، غالية الثمن، وظل يتجوّل ستة أشهر في الجبال والوديان، مجتازاً الحقول، شارباً القهوة ومدخّناً الغليون، وقاطفاً الزهور، حتى وصل ذات يوم إلى النبع الذي توقفت عند زوجته. لاحظ أن كل شيء حول النبع كان محترقاً كأن حريقاً قد شبَّ منذ فترة قصيرة. ومن هناك ذهب إلى المدينة حيث كانت تعيش زوجته. دخل إلى مقهى، وبينما هو يستريح سأله صاحب المقهى من أين أتى وإلى أين هو ذاهب. قال الأمير إنه يبحث عن زوجته التي ارتحلت بعيداً عنه. عندئذٍ حكى صاحب المقهى له عن فتى يعيش في تلك المدينة بعد أن تحرَّر من رقية الجنيات بواسطة فتاةٍ جميلة، ثم ختم حديثه قائلاً: «لعل تلك الفتاة هي زوجتك».

وما كاد يكمل حديثه حتى دخل فتىً إلى المقهى. استدار ولي العهد إليه وسأله عن زوجته. أخبره الرجل بكلّ ما حدث، وكان ذلك كافياً لإقناع الأمير أن المرأة هي فعلاً زوجته. حينئذ قال للشاب: «عد إلى البيت وقل لزوجتك إنني هنا، واسألها أيضاً أيّنا تفضل: أنت أم أنا. ليس عليك سوى أن تذكر أنني أنا زوجها الأول عين الأفعى السوداء». (وهذا هو الاسم الذي كان يدعى به الأمير عندما كان في هيئة التنين).

ذهب الشاب إلى البيت وأخبر زوجته عن الأمر، وعندما سألها: «من تفضلين منّا، أنا أم زوجك السابق؟».

أجابت: «معك لديَّ وردتان، أما عين الأفعى السوداء فيملك قلبي».

قالت ذلك وطارت - كأنما على أجنحة الريح- إلى زوجها السابق. ابتهجا بعثور أحدهما على الآخر مرةً ثانية، وانطلقا في رحلة العودة.

وما إن وصلا إلى القصر حتى طلب الأمير التحقق من ذلك الذي تسبب في كل عذاباته هو وزوجته، وقد تبينوا أن كل ذلك كان من فعل زوجة الأب. جيء بها إلى حضرة الأمير وخيَّرها

بأربعين بغلاً أو أربعين عصا. أجابت المـرأة: «أربعون عصا لأعدائي، ولي أنا أربعون بغلاً».

رُبطَت إلى ذيول أربعين بغلاً فمزَّقت أعضاءها تمزيقاً.

واحتفل الزوجان اللذان اتحدًا ثانية بزواجهما من جديد وعاشا بقية حياتهما في أتمّ نعيم.

المرآة المسحورة

في قديم الزمان عاش سلطان له ثلاثة أولاد. وكانت عنده مرآةٌ ينظر إليها كل صباح عند استيقاظه، فيرى فيها كل ما سيحدث خلال اليوم. نهض ذات صباح وذهب لشؤونه من دون أن يتذكر النظر في المرآة. وعندما أكمل واجباته، تذكر إهماله، وأسرع لاستدراكه، لكن، ويا لأسفه الشديد، لم تكن المرآة موجودة. بحثوا عنها في كل مكان دون جدوى.

أدى به القلق على فقده المرآة إلى المرض، ولما أبصر الأولاد حالة أبيهم، سألوا عن السبب، أجابهم: «أنا محزون لفقداني مرآتي الرائعة».

عندئذٍ، قالوا له: «لا تؤلم نفسك كثيراً، يا أبانا، بل اسمح لنا في الذهاب للبحث عن المرآة».

سرَّ السلطان كثيراً من طلب أبنائه، لأنه شعر أنه ما لم يُعثر على المرآة بسرعة فإنه سيموت من الحزن. منحهم مسروراً الإذن، وارتحل الأبناء لتحقيق غايتهم.

وبعد سفر طويل وصلوا إلى مكانٍ تتفرَّع منه طرقاتٌ ثلاث. وفي وسط ذلك المكان كان ثمة حجرٌ كتبت عليه معلومات عن الاتجاهات الثلاثة: الطريق الأول هو طريق المتشردين، والثاني طريق النُّزل، والثالث هو طريق من لا يرجع أبداً. اختار الأخ الأكبر الطريق الأول، واختار الأوسط الطريق الثاني، واختار الأصغر الطريق الثالث. وقبل أن يفترقوا اتفقوا على ترك خواتمهم تحت حجر، على أن يستعيدوها عندما يعودون إن هم عادوا. سندع الآن الأخوين الأكبرين يسيران في طريقيهما، ونتتبَّع مغامرات الأخ الأصغر.

عندما وصل إلى قمة جبل أبصر أم عفريت كانت على وشك أن تصنع حلوى. أسرع إليها وعانقها ودعاها قائلاً: «أمي».

فقالت له أم العفريت بحنان: «أوه، يا صغيري. لو لم تناديني أمي، لمزّقتك إرباً».

قال لها: «ولو لم تناديني يا صغيري، لمزَّقتك بسيفي».

عندئذٍ، سألته أم العفريت من أين جاء، وإلى أين هو ذاهب، ولماذا هو هناك. أخبرها أنه ابن السلطان، وأنه يبحث عن المرآة التي أضاعها أبوه.

قالت المرأة: «أوه، يا بني. هذه المرآة أخذها العفاريت. لقد أخذوها إلى حديقتهم حيث تُحرَس بحذرٍ بالغ. عندما تصل إلى هناك ستجد كل العفاريت. إذا كانت أعينهم مفتوحة فثق أنهم نائمون. فلا تخف، بل تقدم بكل ثقة وخذ المرآة. كل شجرةٍ في الحديقة مغطاةٌ بالماس والأحجار الكريمة. احذر أن تلمسها، وإلا فقدت حياتك».

شعر الفتى بامتنانٍ فائق لتوجيهات المرأة، ومضى في طريقه. وبعد ترحالٍ طويل وصل إلى حديقة العفاريت، فلما اقترب أبصرهم كلهم نائمين وعيونهم مفتوحة على اتساعها. تذكر كلمات العفريتة - الأم، ومضى بشجاعةٍ إلى الحديقة، وأخذ المرآة، ومضى عائداً. قال محدثاً نفسه: «والآن، ما داموا كلهم نائمين، ما من شيءٍ أكثر حكمة من أن انتزع غصناً من هذه الأشجار المثقلة بالجواهر». وما كاد يمد يده ليقطف غصناً حتى استيقظ العفاريت كلهم ونهضوا نهضة رجل واحد، سائلين: «بأي حقٍّ تجرَّأت على المجيء إلى هنا؟».

ذعر الفتى، وتوسَّل إليهم أن يرأفوا به. ووافقوا على أن يطلقوا سراحه ويدعوه يحتفظ بالمرآة بشرط أن يمنحهم فديةً سيف الجنيّ الزنجيّ.

قطع لهم وعداً، وسُمِح له أن يرجع إلى الأم العفريتة، وحكى لها عن مشكلته. سخرت منه المرأة قائلة: «ألم أحذرك ألا تلمس ممتلكاتهم؟ والآن، ما الذي يمكن فعله؟».

أظهر أسفاً بالغاً على خطئه، وناشد الأم العفريتة أن تقدِّم له المزيد من النصح. أشفقت على الفتى، ووجهته كما يلي: «باتباعك طريقاً محدَّداً ستصل إلى سرايا لها بابان، أحدهما مفتوح، والآخر مغلق. أغلق الباب المفتوح وافتح الباب المغلق، ثم ادخل. على يمينك ستجد أسداً وبجانبه قطعةٌ صغيرة من اللحم، وعلى يسارك كلبٌ بجانبه عشب. أعط العشب للأسد واللحم للكلب، ثم اصعد درجات السُّلّم. وفي حجرته، ستجد الجنيّ الزنجيّ نائماً وسيفه يتدلّى على الجدار. التقطه بسرعة، ولا تُضِع أي وقتٍ بل عد سريعاً إلى هنا. لكن، احذر أن تسحب السيف من غمده».

ارتحل الآن الفتى من جديد، ووصل السرايا في الوقت المعلوم. أغلق باباً وفتح باباً، ودخل. أعطى العشب للأسد وأعطى اللحم للكلب، وصعد نحو حجرة العملاق. عندما دخل جناح الجنيّ الزنجيّ أبصر السيف معلَّقاً في الجدار، أن يأخذه ويهرب من القصر كان هو عمل لحظة واحدة.

وبينما هو يقترب من مسكن العفريتة الأم، ظن أنه صار بعيداً عن الخطر، فاستل السيف من غمده ووجد نفسه فجأةً في قبضة الجنيّ الزنجيّ. جأر العملاق وهو يسحب الفتى عائداً به إلى قصره، وقال: «سوف أجعلك الآن تشعر بقوتي!».

كانت العفريتة الأم قد أعدت الفتى لما يمكن أن يتوقعه إن هو - لسوء حظه - وقع أسيراً ووضع في سجن الجنيّ الزنجيّ. أخبرته أن العملاق سيلقنه كل يوم درساً عن التحوُّل لمدة أربعين يوماً، وفي نهاية الدرس، حين يسأل: «هل عرفت؟»، عليه أن يجيب على الدوام: «أنا لا أعرف».

وهكذا كان الحل مدة أربعين يوماً، خضع فيها الفتى لتعليمات العملاق، الذي كان يسأله في نهاية كل درس: «هل عرفت؟»، تذكّر الفتى أن يجيب دائماً: «أنا لا أعرف». ولما انتهت الأربعون يوماً، أطلق العملاق سراحه بشرط أن يحضر له ابنة السلطان العفريت.

عاد الفتى إلى العفريتة الأم وقصَّ عليها ما حدث له. صرخت في وجهه موبخةً ساخرةً: «ألم أحذرك ألا تسحب السيف؟».

ومع ذلك، قبلت مساعدته للمرة الثالثة. أخبرته أن العفريتة الأميرة تعيش في مدينة معينة لا يوجد فيها بشر ويستحيل على أيِّ إنسان الاقتراب منها، هذا بالإضافة إلى أن للفتاة تعويذة ما. ولو أن أحداً نجح في دخول المدينة، فإن تعويذتها لن تكون فعالة بعد ذلك، حينها سيكون باستطاعته أن يفعل بها ما يشاء. قالت الأم العفريتة:

«ليس العملاق وحده هو الواقع في حبها، بل العفاريت كلهم أيضاً يحبون الأميرة العفريتة. ولو أنهم استطاعوا لكانوا قد حملوها منذ سنين لكنهم عجزوا عن التغلب على تعويذتها».

تنهد الفتى يائساً وقال: «كيف يمكنني، إذن، أن أقترب منها؟».

سألته الأم العفريتة: «ألم تتعلم شيئاً على الإطلاق من العملاق؟».

«بلى، لقد تعلمت بالتأكيد كيف أحوِّل نفسي إلى طائر».

«حسناً، إذن، يا بني. غيِّر نفسك إلى طائر وطر إلى قصر الأميرة. وفي الحديقة ثمة قفص حجري، وبدخولك إلى ذلك القفص ستتمكن من تحطيم تعويذة الأميرة، وستكون هي بعد ذلك تحت رحمتك. عندئذٍ خذها وسلِّمها للعملاق».

وهكذا غيَّر الفتى نفسه إلى طائرٍ وطار مباشرة إلى المدينة، ومنها إلى حديقة السرايا. ووجد القفص الحجري فدخل إليه، ومنذ تلك اللحظة لم تعد تعويذة الأميرة ذات تأثير يذكر. أدركت الأميرة أن ذلك الطائر هو رجل حقاً. فقلت للفتى: «والآن، يا ابن الأرض، لقد صرتُ مخلوقة بشرية فانية مثلك تماماً، فلا تخش شيئاً؛ ومن الآن فصاعداً أنا ملك لك كلياً».

وبسماعه ذلـك، هزَّ الطائر نفسه واستحال إلى شكله الإنساني. أعلنت الأميرة أنه لم يعد هناك من عوائق تقف أمامه، وأن الرجال والنساء يمكنهم دخول المدينة بحرية. أعلمت أباها أيضاً بما حدث، وأنها صارت زوجة إنسان. أخبرها الفتى أنه ابن السلطان وأن عرسهما يجب أن يتم على النحو اللائق في قصر أبيه. عندئذٍ استعد للعودة آخذاً الفتاة معه.

لما اقتربا من قصر العملاق، حزرت الأميرة هدف الفتى، وبدأت تبكي بحرقة. هدَّأها وشرح لها أنه كان عليه أن يأخذها إلى هناك لينقذ حياته، لكنه وعدها ألاّ يتركها مع العملاق، وأنه يفضل أن يهلك على أن يفعل ذلك.

وحين وصلا إلى بوابتي القصر، لمحهما العملاق فصاح مزمجراً: «ابتعد، ابتعد، لا تقترب من هنا! ما دمت قادراً على

أخذ الأميرة فأنت قادرٌ على أي شيء، كل شيء ممكن بالنسبة إليك. احتفظ بالسيف وبالفتاة، فقط، لا تقترب مني!».

ذهب الفتى والفتاة ومعهما السيف إلى حديقة العفاريت، ما إن رأى العفاريت أن السيف معه، حتى صاحوا: «ابتعد، ابتعد! لا تقترب من هنا! إننا نخاف منك لأنك إذ استطعت أن تأخذ سيف العملاق وكذا الأميرة العفريتة، فكل شيء ممكن بالنسبة إليك. احتفظ أيضاً بغصن المجوهرات الذي نزعته من الشجرة في حديقتنا».

وبعد أن أنجز الفتى كلَّ ما كان متوقعاً منه، اصطحب الفتاة إلى منزل الأم العفريتة، التي ودّعاها بعد أن استراحا قليلاً ومضيا في طريق العودة.

وبعد الترحال الطويل، وصلا إلى البقعة التي افترق فيها عن إخوته قبل أشهر عديدة. فحص الحجر فوجد أن الخواتم كلها لا تزال في مكانها. تساءل: «ترى، ما الذي يمكن أن يكون قد حدث لأخوي؟»، وبينما هو محتارٌ يفكر بهما أبصرهما قادمين من بعيد، لكنهما كانا في حالة تدعو للرثاء لدرجة أنهما بالكاد أشبها إنسانين. مع ذلك، فقد كان سعيداً برؤيتهما سالمين وقد حكيا ما حدث لهما.

حين أبصرا أن لأخيهما الأصغر فتاة جميلة، وأن معه المرآة السحرية، دخلت الغيرة قلبيهما. واصلوا طريقهم، واستولى عليهم العطش، فبحثوا عن وسيلة يطفئوا بها عطشهم. وجدوا بئراً مغطى بغطاء حديدي، فاقترح الأخوان أن ينزل الأخ الأصغر بواسطة حبل ليملأ الوعاء بالماء. ولما فعل ذلك، وجد أن أخويه قد تركاه لمصيره في قعر البئر. تركا حصانه وذهبا بالفتاة معهما قائلين لها إن أخاهما سيلحق بهم بعد قليل.

وتبيّن الأخ أن أخويه قد تخليا عنه، فبكى وانتحب بمرارة. وصل الأخوان في الوقت المعلوم إلى قصر أبيهم وأعادا له المرآة السحرية التي قالا إنهما استعاداها. أما عن أخيهم، فقد أنكرا أنهما أبصراه ثانية بعد أن افترقوا ومضى كل واحدٍ في طريق. نسي السلطان في فرحته الغامرة باسترجاع مرآته فقدانه لابنه الأصغر، وأمر بالبدء بالاستعدادات لزواج الأميرة العفريتة بابنه الأكبر.

فلنعد الآن إلى الفتى في البئر. عانى حصانه كثيراً من شدة الجوع والعطش وأخذ يضرب غطاء البئر بحوافره بقوةٍ حتى انكسر بعد لأيٍ وعناء. سمع الفتى صهيل حصانهُ وقام بجهد جبار وبصعوبةٍ لا توصف نجح في التسلق إلى أعلى البئر.

أسرع الآن جهده في طريقه إلى قصر أبيه الذي كانت فرحته برؤية ابنه المفقود لا حدود لها. وفي غضبه اللا محدود بسبب قسوة الأخوين وغدرهما، أمر بإعدامهما، وبعد ذلك زوّج الأميرة العفريتة من محبها الحقيقي الذي نالها وأنقذها من خطرٍ ماحق. تواصلت الاحتفالات والولائم بزواجهما أربعين يوماً وأربعين ليلة، وعاشا بعدها بسعادةٍ دائمة.

عفريت البئر

الحكاية التي سأحكيها الآن حدثت منذ زمن طويل جدّاً. كنا في رحلة، وظللنا نصعد جبلاً ونهبط وادياً لستة أشهر متوالية دون توقف، ولما نظرنا خلفنا وجدنا أننا ارتحلنا مسافة تساوي ساق نبتة الشعير. وانطلقنا مرة ثانية وواصلنا ترحالنا حتى وصلنا إلى حديقة سلطان «التشينيماتشين». دخلنا، ووجدنا طحاناً يطحن الجريش وبجانبه قط. القط-أوه، يا لعينيه! القط-أوه، يا لأنفه! القط-أوه، يا لقائمتيه الأماميتين! القط-أوه، يا لقائمتيه الخلفيتين! القط-أوه يا لحلقه! القط-أوه، يا لأذنيه! القط-أوه، يا لشاربيه! القط-أوه، يا لذيله الطويل!

وغير بعيد، كان يعيش حطابٌ لم يكن يملك شيئاً إلى جانب فقره سوى زوجة مكابرة عنيدة. وكان كل ما يكسبه هذا البائس من نقود يعطيه لزوجته حتى لا تبقى معه «بارا» واحدة. وإذا كان طعام العشاء شديد الملوحة - وهذا هو ما كان يحدث دائماً - وتجرّأ الرجل على القول: «لقد أكثرتِ الملح في الطعام، يا

أماه!»، فإنه يعرف على وجه اليقين أن الطعام في اليوم التالي سيكون من دون أيّ ملح على الإطلاق. حينها، إن هو تجرّأ على القول: «لقد نسيتِ الملح، يا أماه!»، فإن الطعام في اليوم التالي سيكون مملّحاً لدرجةٍ لا يمكنه معها أن يأكله.

وذات مرّةٍ، حدث لهذا الرجل البائس أن احتفظ ببعض النقود من أجره كي يشتري حبلاً. واكتشفت زوجته الأمر فبدأت تسخر منه وتحقّره بلا رحمة. قال لها الرجل بلطف: «لكن، يا عزيزتي، لقد احتفظت بالنقود كي اشتري حبلاً، هذا كل ما في الأمر. لا تكوني عنيفة إلى هذا الحد».

ردّت بحدّة: «ما فعلته بك حتى الآن لا يساوي شيئاً قياساً بما سأفعله بك».

ثم هجمت عليه، وتعالى الزئير حتى لا يمكن لي أن أفهم كيف استطاع أحدهما الفكاك من الآخر.

في صباح اليوم التالي، قرّر الحطاب أنه لا يستطيع أن يحتمل المزيد، فأسرج حماراً واتجه نحو الجبال. كلُّ ما قاله لزوجته هو ألاّ تلحق به. لكنه لم يكد يقطع سوى جزءٍ يسير من طريقه، حتى ركبت هي حماراً ومضت خلفه، كانت تغمغم محدِّثةً نفسها:

«من يدري ما عساه يفعل إن لم أكن معه؟». وأدرك الرجل أن زوجته قد جاءت خلفه، لكنه تظاهر بأنه لم يلحظها. ولما وصل إلى الجبال، هبَّ في الحال للعمل في قطع الأخشاب. طفقت المرأة تسير وتجيء إلى الأمام وإلى الخلف متوترةً قلقةً، ومتفحصة كل حافةٍ وركن، ولم تفت عينيها الفاحصتين سوى بئر قديمة كانت المرأة قد اقتربت من حافتها. صاح زوجها محذِّراً: «انتبهي! احذري البئر! ارجعي!».

غير أن المرأة لم تعر صيحاته أدنى اهتمام مع أنها سمعته تماماً. وخطت خطوة أخرى، وفقدت توازنها، وغابت في الأسفل، فوجدت نفسها في قعر البئر. رأى زوجها أنها لم تكن جديرة بأن يشغل باله بسببها، فساق حماره وعاد إلى البيت.

عاد في اليوم التالي إلى عمله في الجبال، وفكَّر بزوجته وقال يحدث نفسه: «سوف أرى فقط ما حلَّ بالمرأة المسكينة». اقترب من حافة البئر، وأخذ ينظر في الأسفل، لكنه لم يستطع أن يرى لها أثراً. شعر بالندم لمسلكه بالأمس، صحيح أنها داهية، لكنها رغم كل شيء زوجته. فماذا حلَّ بها؟ أخذ حبلاً وأنزله في البئر وصاح: «امسكي بالحبل وسأسحبك إلى الأعلى».

أدرك الرجل من خلال اشتداد الحبل أن أحداً ما قد أمسك به، فواصل بكل جهده سحب الحبل. ظل يسحب حتى أدركه الإعياء، غير أنه أخرج إلى سطح البئر عفريتاً مخيفاً! انتاب الحطاب البائس الرعبُ الشديد.

قال العفريت: «لا تخف مني، أيها الرجل المسكين. فليباركك الله لما فعلت. لقد أنقذتني من خطرٍ عظيم، وسوف أظل أتذكر عطفك على الدوام». تساءل الرجل المسكين ذاهلاً عن الخطر العظيم الذي كان قد أنقذ العفريت منه: «لسنوات عديدة». أجاب العفريت: «عشت بسلام في هذه البئر العتيقة، حتى ليلة الأمس لم يحدث أن عكّر عليَّ سكينتي شيء. ثم سقطت عليَّ بالأمس امرأةٌ عجوز وأمسكتني من أذنيَّ بكل قوةٍ حتى لم أعد أدري كيف أحرِّر نفسي من قبضتها. ولحسن الحظ، أنك حين أسقطت الحبل كنت أول من أمسك به - لك الحمد يا الله! لا بدّ لي من أن أكافئك على عطفك».

قال العفريت ذلك، وأخرج ثلاث ورقات وأعطاها للحطاب قائلاً: «سوف أزحف الآن إلى ابنة السلطان. وسوف تصير هي مريضة جداً. سيرسلون في طلب الأطباء والحكماء لكنهم كلهم لن يفلحوا في فعل شيءٍ لها. وعندما تسمع أنت بهذا اذهب

إلى السلطان وأخرج هذه الورقات الثلاث وعندما تلمس وجه الفتاة بهذه الورقات سوف أخرج أنا منها، وستستعيد هي عافيتها، وسوف تكافأ أنت مكافأة مجزية». اعتبر الحطاب هذه خطة بارعة، فافترق عن العفريت، ونسي كلَّ شيء عن زوجته التي في قاع البئر.

لم يكد الحطاب يبتعد عن العفريت حتى اتجه هذا مباشرة صوب قصر السلطان وزحف منسلاً إلى بدن ابنة السلطان. أخـذت الفتاة المسكينة تطلق صيحات متواصلة متوجِّعة: «رأسي! أوه، رأسي».

علم السلطان بمرض ابنته المفاجئ، فزارها وحزن من أجلها إذ وجدها تتوجَّع على ذلك النحو الرهيب. أقبل الأطباء والحكماء بأعداد كبيرة، ولم تسعفهم براعتهم في معالجتها، إذ واصلت الفتاة زعيقها، «أوه، رأسي، يا رأسي!».

قال أبوها: «يا حبيبتي، سماع تتوجعين يسبِّب لي ألماً شديداً لا يقل عن ألمك أنتِ. ما الذي يمكن فعله؟ سوف أدعو المنجمين، لعلهم يستطيعون أن يخبرونا».

وجاء أشهر المنجمين في البلاد، واستشاروا النجوم، ووصفوا أصنافاً شتى من العلاج، غير أن حال الأميرة ازدادت سوءاً.

فلنعد الآن إلى الحطاب. لقد سارت أموره على نحو أفضل من دون زوجته، وسرعان ما نسيها. كما كان قد نسي تقريباً العفريت والأوراق الثلاث أيضاً، حتى سمع ذات يوم بإعلان السلطان الذي يقول: «إن ابنتي مريضة مرضاً مميتاً. وقد عجز الأطباء والحكماء والمنجمون عن معالجتها. أيّاً كان من يستطيع أن يقدِّم المساعدة، فليأتِ ويقدِّمها. إذا كان مسلماً فليأخذ ابنتي زوجةً له الآن، ومملكتي بعد موتي، وإذا كان من غير المؤمنين، فإن كل ما في خزائن مملكتي من كنوز هي له».

ذكَّر هذا الإعلان الحطاب بالعفريت وبالورقات الثلاث. فذهب إلى القصر وتعهَّد بعون الله أن يشفي الأميرة. قاده السلطان من دون تأخير إلى غرفة ابنته المريضة، والتي كانت لا تزال تصرخ وتتوجَّع: «أوه، رأسي! أوه، يا رأسي!». أخرج الحطاب الورقات الثلاث، وبلَّلها وضغط بها على جبين المريضة، فزال المرض على الفور وعادت سليمة معافاة كأنها لم تعرف هذه العلة. عمَّت الفرحة العظيمة السرايا، وصارت ابنة السلطان زوجة الحطاب الفقير وصار هو ابن السلطان بالمصاهرة.

كان لسلطاننا صديق ودود في مملكة السلطان المجاورة وكانت ابنته أيضاً في قبضة عفريت البئر، وتعاني أيضاً من العلة ذاتها التي عانت منها ابنته، وعجز الأطباء والحكماء والمنجمون عن علاجها. أعلم سلطاننا صديقه ذاك عن حسن حظ ابنته، وعرض عليه أن يرسل له ابنه بالمصاهرة، الذي بعون الله، سيكون قادراً على علاج ابنة صديقه.

وهكذا أعلم السلطان ابنه بالمصاهرة برغبته. ومع أن الأخير كانت تساوره الظنون، إلا أنه لم يستطع أن يرفض، لذلك رحل إلى بلاط المملكة المجاورة. أُخِذ على الفور حال وصوله إلى الأميرة المريضة، وتبيَّن أن لذلك علاقة بعفريت البئر.

قال العفريت: «حررت ابنة السلطان على يدك وبحثتُ لي أنا عن واحدة أخرى، فهل تريد أن تأخذ هذه مني أيضاً؟ إن أنت فعلت، فسآخذ منك أميرتك».

احتار الرجل المسكين مما سمعه، لكنه قرَّر أن يجرِّب تأثير الحيلة، قال: «أنا لم آت لآخذ الفتاة. إنها ملك لك، وإذا أردت يمكنك أيضاً أن تأخذ فتاتي أيضاً».

قال العفريت: «إذن ما الذي تفعله هنا؟».

جأر الحطاب قائلاً: «المرأة التي في البئر، إنها زوجتي. لقد تركتها في البئر لأتخلص منها».

أظهر العفريت علامات القلق، وسأل: «وهل خرجت من البئر؟».

تنهَّد الحطاب: «نعم، ويا للأسف الشديد! وهي تتعقبني حيثما ذهبت. وها هي الآن خلف الباب!».

وكان هذا كافياً تماماً لإخافة العفريت، فلم يُضِع وقتاً وأسرع منسحباً من ابنة السلطان. وغادر المدينة بأقصى سرعةٍ ممكنة، ومن دون أن يتريث حتى للتأكد من صحة كلام الحطاب، ولم يُسمَع عن العفريت بعد ذلك مرةً ثانية. وهكذا شفيت الأميرة وعاشت في سعادةٍ تامة.

العرّاف

عاش ذات مرةٍ رجل في الأربعين أو الخمسين من العمر، وكان له شعرٌ أبيض ولحية بيضاء جعلا الناس يظنونه في الستين أو السبعين. كان بارعاً في فروعٍ شتى من الحرف وتدّبر على نحو مقبول توفير حاجياته هو وزوجته.

وبينما كانت زوجته ذاهبة ذات يومٍ إلى الحمام أبصرت حشداً كبيراً من الناس. أخبرتها النساء اللاتي كنّ مثلها ذاهبات إلى الحمام، أن زوجة العراف الكبير سوف تأتي في ذلك اليوم ذاته إلى الحمام، وكان ذلك هو السبب في احتشاد كل أولئك الناس وفي الضجة التي أحدثوها. وبينما تتحدث النساء ارتفع الغناء والموسيقى يعلنان عن اقتراب زوجة العراف. ولما كان زوجها محبوباً لدى السلطان فقد صحبها عدد كبير من المرافقين. وقد أولت مسؤولة الحمام - أملاً في نيل هدية قيّمة - السيدة احتراماً بالغاً وتقديراً زائداً ورجتها أن تختار المكان الذي تريده.

كانت صاحبتنا المسكينة شاهدةً على كل تلك المحاباة، أخذت حمامها وعادت إلى بيتها. ونتيجة للفرك الخفيف الذي نالته هي وغيرها من النساء، بحثت عن زوجها وقالت له: «إما أن تصير عرّافاً أو أهجرك!».

أجاب الرجل: «يا امرأة، إنني أعمل جهدي كي أوفر خبزنا اليومي، ولا وقت لدي لدراسة فن العرافة. كيف لي أن ألبي لك هذه الرغبة؟».

غير أن المرأة أصرت على قرارها، إما أن يصير عرّافا أو تهجره غير آسفة. ولما كانت زوجته ذات جمال استثنائي، لم يستطع تصوُّر فكرة أن يفقدها، لذلك بدأ يفكر فيما يمكنه فعله. ذهب إلى أحد المقاهي، وبينما هو مستغرق في التفكير بهذه الورطة، أقبل صديق وسأله عن الأمر. حكى له صاحبنا القصة. كان صديقه هذا على صلة حميمة بصاحبة الحمام، فقال له: «اطمئن، يا أخي. فسوف أساعدك».

وذهب هذا إلى امرأة الحمام وشرح لها الوضع بوضوح. قالت المرأة: «غداً، دع الرجل يجلس أمام باب الحمام، ومعه أوراق وقلم وقارورة حبر، ثم يأخذ في الخربشة كما يفعل العرافون. والبقية عليّ».

مع أنَّ صاحبنا لا يقرأ ولا يكتب، فقد ذهب واشترى تلك اللوازم، ثم قصد موضعه أمام باب الحمام، وقد اعتبره كلٌّ من مر هناك بأنه كاهن. جاءت زوجة العراف الشهير إلى الحمام كعادتها. وبينما كانت العاملات في الحمام مشغولات بخدمتها فقد أخذن سراً - حسب تعليمات المسؤولة عن الحمام - خاتماً ثميناً من إصبع السيدة وخبأته المسؤولة في الوحل المتجمع في الميزاب مخبرةً الرجل الذي في البوابة بما حدث.

وفي الحال، أطلقت زوجة العراف ضجةً صاخبة بشأن خاتمها المفقود، وبينما كان الصياح على أشدّه، قالت مسؤولة الحمام: «هناك منجّم عند البوابة وهو خبير في كشف المفقودات».

واستدعي المنجّم إلى الحمام على الفور وأُطلع على ما هو المطلوب منه. تظاهر بالحكمة والحصافة، وبحاجبين معقودين وتفكير عميق، قال: «ستجدون الخاتم مطموراً في الوحل في ذلك الجزء الضيق من المجرى، عند الميزاب».

بحثوا في المكان المذكور، ويا للعجب! كان الخاتم هناك بالفعل. سرّت السيدة باستعادة خاتمها الثمين، ومنحت العرّاف مكافأة مجزية، فعاد إلى البيت راضياً تماماً بنجاحه الأول كعرّاف.

وبعد أيام قليلة، قيل إن السلطانة فقدت خاتمها في السرايا. ظُنَّ أن أحد الخدم قد سرقه. بحثوا في كل مكان، وفتشوا كل إنسان غير أنهم لم يعثروا على الجوهرة المفقودة في أي مكان. ولما تناهى الخبر إلى سمع زوجة العراف الشهير، ذكرت العراف الذي عثر على خاتمها بوصفه الشخص الأنسب لمعرفة مثل هذه المشكلة. فاستدعي إلى القصر، ولما وقف بين يدي السلطانة، قالت له: «أيها العراف، عليك أن تعثر على خاتمي أينما كان. سأمنحك مهلةً إلى صباح الغد، إن أنت لم تأتِ به في صباح الغد، فسأقطع رأسك».

أخذوه وحبسوه في غرفة وحده، فارتمى أرضاً وطفق يبكي في يأس، ويدعو: «يا الله، يا عالم بكل شيء. غداً ستكون روحي بين يديك!».

وحدث أن كانت الخادمة التي سرقت الخاتم تعاني من كرب لا يوصف خوفاً من أن تُكتشَف جريمتها. لم تستطع النوم، وقررت في نهاية الأمر أن تخاطر بمواجهة العواقب وتذهب للاعتراف بين يدي العراف. وفي جنح الظلام نهضت وذهبت إلى الحجرة التي حُبِس فيها العراف. سمع حركة المفتاح في قفل الباب فتضاعف هلعه إذ ظن أن الصباح قد طلع. باستطاعة المرء أن

يتخيل دهشته حين جثت المرأة عند قدميه وتوسلت إليه بقولها: «يا خير العرافين، الخاتم معي، وإذا ما اكتشف الأمرُ فسأُعدم، أنقذني! أنقذني، أتوسل إليك!».

والآن، فكرَّ العراف محدثاً نفسه: «كما أنقذني الله، فإن عليَّ أن أساعد هذه المخلوقة البائسة في محنتها». أخبرته الخادمة بكل شيء، عندئذٍ قال لها: «اذهبي، يا ابنتي، ومن دون أن يراك أحد، اجعلي وزَّةً تبتلع الخاتم، ثم اكسري رجلها. افعلي ما أخبرتك به ولا تخشي شيئاً».

عندما انبلج الصباح، أُحضر العراف إلى السلطان، فقال له: «يا مولاي، لقد ظللت طوال الليل أُمعِن التفكير في هذا الأمر. فلتجمع كل الطيور الداجنة من ديوك ودجاج وإوز، وديوكٍ تركية وغيرها من الطيور، في الحديقة».

أمر السلطان بأن تُجمع الطيور إلى الحديقة في الحال، ومضى العراف متبوعاً بكل من في البلاط إلى الحديقة. أخذ يتطلَّع في الطيور المحتشدة وهو يخربش، حتى لمح الإوزة العرجاء. أشار إليها معلناً بابتهاج: «مولاي، اذبحوا هذه الإوزة وستجدون الخاتم المفقود بداخلها».

ذُبحت الإوزة، ولدهشة الجميع، كان في جوفها الخاتم كما تنبأ العراف الخبير.

رُقّي إلى وظيفة كبير العرافين إلى جانب ما تلقاه من هدايا ودورٍ عديدة. وهكذا صار الحرفي المسكين عرافا مشهوراً.

ابنة سلطان قندهار

عاش في قديم الزمان سلطان لم يرزق بأي أطفال. وذات يومٍ قال لوزيره: «اسمع، كلانا بلا أطفال، هيا بنا نذهب للحج، لعل الله يرينا معجزاته».

ثم ارتحلا، ووصلا بعد عدة أيام إلى نبع في وسط سهل فسيح، قال السلطان: «فلنجلس هنا ونسترح قليلاً».

جلسا تحت شجرة، وبينما يستريحان ظهر درويشٌ فجأة وحياهما قائلاً: «السلام، عليكم، يا حضرة السطان!».

أجابا: «وعليك السلام أيها الشيخ».

دعياه للجلوس بجانبهما. ثم قال السلطان للدرويش: «ما دمت قد عرفت أنني السلطان، فلابدّ من أنك تعرف سبب حزني».

«لأنك لم ترزق أطفالا خرجت للحج».

قال الدرويش ذلك وأخرج تفاحتين من جيب في صدره، وأعطى واحدة للسلطان والأخرى للوزير: «خذا هاتين التفاحتين، وعندما تكونا في قصريكما، فليأكل كلٌّ واحدٍ منكما نصف تفاحته وليعط النصف الآخر لزوجته، وسيمنُّ اللهُ عليكما بالأطفال».

وبعد برهة اختفى الدرويش.

عاد السلطان ووزيره إلى الوطن. أكل كل واحد نصف التفاحة وأعطى النصف الآخر لزوجته، وبعد مدة رزق كلٌّ منهما بولد. احتفل بهذه المناسبة المزدوجة بسرور بالغ وبمهرجانات عامة. شبَّ الولدان سوياً وبلغا سنتهما الثالثة عشرة، من دون أن يفترقا في ليل ولا في نهار.

وفي أحد الأيام ذهبا إلى السوق فأبصرا بائعاً متجوِّلاً معه صندوق معروض للبيع بمبلغ مائة ليرة. قال الأمير: «أنا سأشتري ذلك الصندوق».

اشتريا الصندوق، وحملاه إلى القصر ووضعاه في جناحهما. وفي غياب رفيقه، فتح الأمير الصندوق ليشبع فضوله فرأى أنه يحتوي على صورة فتاة. وما إن لمح الصورة حتى أغمي عليه.

عاد ابن الوزير فانزعج لحال صديقه ورش قليلاً من الماء على وجهه فاستعاد وعيه. عندما فتح الأمير عينيه سأل ابن الوزير: «ما الذي حدث، يا أميري؟».

أجاب: «أوه، أيها الوزير. إنني واقعٌ في حب هذه الصورة. ووفقاً للوصف فهي صورة بنت سلطان قندهار. وإذا كانت حية فسأذهب للبحث عنها».

«دعني أخالفك الرأي يا أميري. الكثير من التعاسة قد تحل بك نتيجة هذا البحث». غير أن الأمير رفض أن يصغي، وبدأ يستعد للرحلة. عندئذ قال له رفيقه: «إن أنت فعلاً قررت أن تذهب، فليس باستطاعتي أن أبقى هنا وحيداً، سنذهب معاً».

وهكذا، أسرجا جواديهما، وارتحلا ومن دون أن يخبرا أحداً عن وجهتهما.

سافرا أسابيع وشهوراً حتى بلغا مدينةً قابلا فيها عجوزاً طلبا منها مأوى لليلةٍ واحدة. قالت المرأة: «يا ولديّ، ليس لديَّ سوى كوخ صغير، أنا بالكاد أستطيع أن أتحرك فيه. فكيف لي أن آويكما؟».

ولما منحها الفتيان حفنةً من الذهب، قالت: «حسناً، ادخلا، يا بُنيَّ». وقادتهما إلى البيت.

كان الأمير يتنهَّد باستمرار بسبب محبوبته، ففهمت المرأة حزنه وسألت عن السبب، فأراها الأمير صورتها قائلاً: «انظري، يا أمّاه. أنا واقعٌ في حب هذه الفتاة. ومن أجلها جئت إلى هذه الديار الغريبة، وإن لم أفلح في الحصول على من أحب، فإنني لن أعيش».

ردَّت المرأة: «يا ولدي، هذه هي ابنة سلطاننا. وفي هذا الأسبوع ستتم خطبتها. أنا أدخل إلى القصر وأخرج باستمرار. هدّئ من روعك، صباح الغد، سأغامر وأشير لك إلى ابنة السلطان».

كان الأمير في غاية الامتنان لاهتمام العجوز ولطفها، فقبَّل يدها ورجاها أن تدبِّر له لقاءً مع الأميرة.

ذهبت المرأة في صباح اليوم التالي إلى القصر. واستقبلتها سيدات القصر بود وسألنها عن صحتها وتحدثن معها عن أمور شتى. وأخيراً وجدت نفسها مصادفة مع ابنة السلطان بمفردهما، فانتهزت الفرصة لتخبر الأميرة بحب الأمير لها. ردَّت الأميرة: «لكن، يا أمي العزيزة، ألا تعلمين أن خطوبتي ستتم هذا الأسبوع؟».

مهما يكن، لم تقتنع العجوز. ناشدتها وأقنعتها، ذاكرة لها كيف بكى الأمير بحرقة، وأنه يرغب في رؤيتها مرةً واحدة فحسب. تعاطفت الفتاة أخيراً، وقالت: «سأذهب غداً مع مجموعة العرس إلى عاصمة خطيبي. وفي الطريق سيجد ضريحاً أسود. يمكن للفتى أن ينتظر هناك وسوف آتي لمقابلته».

عادت العجوز إلى البيت وحكت للأمير كلَّ ما قالته الأميرة ابنة السلطان. سرَّ سروراً عظيماً، فاصطحب وزيره وذهبا في منتصف الليل إلى المكان المحدد. استيقظ الأمير باكراً، لبس واتخذ مقعده في العربة ومضى الموكب. وعندما وصلوا إلى المقبرة أمرت عربتها أن تتوقف، قائلةً: «أود أن أزور هذه المقبرة لوقتٍ قصير، انتظروا حتى أعود».

وما إن التقيا معاً حتى وقع كلٌّ منهما في حب الآخر، ووجدا أن هناك الكثير جداً مما يودان قوله، ومرَّ الوقت أسرع مما ظنا معاً.

كان الوزير حينها يحرسهما، ولما رأى أن حشد العرس قد نفد صبره ارتدى ملابس الأميرة التي لقيها هناك وذهب إلى العربة. وبَّخه الضيوف لجعلهم ينتظرون طويلاً، ظانين أنه ابنة السلطان واصطحبوها بأمان إلى العربة وواصلوا رحلتهم.

تنبَّه الفتى والفتاة وهما بجوار الضريح الأسود وتبيَّنا كم أنهما تأخرا، ثم اكتشفت الفتاة فقدان عباءتها، فانتابها اليأس. فعمد الأمير إلى التخفيف عنها بقوله: «لا تخافي، يا سلطانتي. لقد حلَّ وزيري محلك في موكب العرس. هيا بنا نذهب والوزير سيجدنا فيما بعد».

لذلك قررا أن يذهبا إلى مسكن العجوز.

سافر الوزير في موكب العرس إلى قصر السلطان الذي كان من المقرر أن تزفَّ إليه الأميرة. وعندما أخذ الوزير الفتى العروس إلى غرفة العرس، قالت: «أنا مرهقة من الرحلة، دع العرس يتأجل أربعين يوماً حتى أستعيد عافيتي من هذا التوعك».

وتمت الموافقة على هذا، وتولت أخت السلطان أن تكون رفيقة العروس الدائمة.

وفي أحد الأيام، حين كانا في الحديقة جالسين بجوار بركة، طار عصفور ظل يغرِّد بحيوية وشغف على أحد الأشجار. سألت الفتاة لما رأت الوزير الصغير يبتسم: «لماذا تبتسم؟».

أجاب: «ليس لأمر مهم».

أصرَّت: «أخبرني، إذن».

«ذلك العصفور قال الآن إن كانت هاتان الفتاتان ستقفزان إلى البركة وتستحمان، فإن أحدهما ستتحول إلى رجل ثم يتزوج الأخرى».

«هل يعقل هذا؟» ابتسمت الفتاة واقترحت أن تختبر صحة القول.

أجاب الوزير بحزن: «لا، إنه غير ممكن، لأنني إن كنت رجلاً فلن تتزوجينني».

ردت الفتاة: «والله، لأتزوجنَّك».

سألها: «لكن، ماذا لو صرتِ أنت الرجل، هل ستتزوجيني، إذن؟».

أقسمت الفتاة أن حماسها لا يقل عن الحال الأول، وألحت على القفز إلى الماء. وعندما خرجا كان الوزير قد صار حقاً رجلاً! كانت الفتاة مسرورة على نحوٍ لا يمكن وصفه، وأعلنت أن الله قد أحاله إلى رجل من أجل أن يتزوجا. مهما يكن، فلو عُرِفَ ذلك الآن فإن زواجهما سيُمنع، لذا عليهما أن يهربا طلباً للأمان.

أخذا جواداً وفرًا، ووصلا بعد عدة أيام إلى منزل العجوز، وقد سرَّهما أن وجدا الأمير والسلطانة الشابة قد سبقاهما إلى هناك. وفي اليوم التالي كافأوا العجوز بحفنة أخرى من الذهب، وامتطوا جيادهم وارتحلوا.

في الوقت الذي كان كل هذا يحدث، كان السلطان مندهشاً محزوناً بسبب ذلك الاختفاء الغامض لأخته وعروسه. ذهب إلى والد عروسه وبحث الاثنان في كل مكان من دون أن يفلحا في العثور عليهما. كانت النتيجة الوحيدة لبحثهما هي ظهور إحدى الساحرات التي قالت لوالد الفتاة: «سأعثر على ابنتك وأعيدها إليك مع الثلاثة الآخرين الذين هربوا معها».

قال السلطان: «افعلي، أعيد الآبقتين وسأكافئك مكافأة مجزية».

بعد طول ترحال، وصل الفارون إلى أحد الينابيع حيث جلسوا يستريحون في ظلال شجرة. بقي الوزير يحرسهم وهم نائمون. وفجأة طارت حمامتان وحطتا على الشجرة، كانت إحداهما تضحك والأخرى تبكي. قالت الحمامة الباكية تخاطب الأخرى: «لماذا تضحكين؟ الأجدر بك أن تشفقي على النائمين المساكين».

ورداً على ذلك قالت الحمامة الضاحكة بمزيد من الضحك، ثم سألت رفيقتها عن سبب بكائها. فأجابتها الأخرى: «ولماذا لا أبكي فعلاً وأنا أرى هؤلاء النائمين؟ ألا تعلمين أنهم حين يصلون إلى الجانب الآخر من الجبل سيظهر لهم من الغابة حصانٌ جميل الشكل. وسيحاولون أن يمسكوه وهم لا يعرفون أنهم بفعلهم هذا يسعون إلى حتفهم لأن ذلك الحصان ليس سوى ساحرة قررت أن تأسرهم وتسلمهم جميعاً إلى السلطان الذي سيأمر بإعدامهم. هذا هو سبب بكائي».

غير أن الحمامة الأخرى لم تكف عن الضحك، وقالت: «لا حاجة للبكاء، كل ما عليهم أن يفعلوه هو أن يقتلوا الحصان بضربةٍ واحدة».

ولم تكف الحمامة الأولى عن البكاء، قالت: «حتى لو تخلصوا من الحصان، فإنهم سيواجهون كلباً صغيراً في الجانب المقابل لجبل آخر، وهذا الكلب هو أيضاً ساحرة خرجت للقبض عليهم وتسليمهم للسلطان».

ضحكت الحمامة، وقالت: «وهذا أيضاً أمر بسيط. إن هم قتلوا الكلب بضربةٍ واحدة تحرروا من الخطر».

قالت الحمامة الباكية: «حتى إن تخلصوا من الكلب يبقى أمامهم خطرٌ آخر. ففي ليلة عرسهم سيظهر لهم غولٌ ويسحبهم من أسرتهم».

«عليهم أن يقتلوه أيضاً»، ردت الحمامة وواصلت ضحكها، وحديثها: «لو أن أحداً سمع حديثنا وأعاده إلى شخصٍ آخر فإنه سيتحول إلى حجر».

قالت ذلك، ثم طارتا معاً.

استمع الوزير إليهما بكل انتباه، ثم أيقظ رفاقه، وامتطوا جيادهم وواصلوا طريقهم. وبعد سفر طويل وصلوا إلى سفح الجبل حيث أبصروا حصاناً جميلاً يقترب منهم محمحماً. صاح الأمير بفرحٍ طاغ: «انظروا إلى هذا المخلوق البديع! دعونا نقبض عليه!».

صاح الوزير: «توقف! أنا سأمسك به».

وما إن اقترب منه حتى استل سيفه وأغمده في الحصان فوقع ميّتاً. على الرغم من دهشتهم البالغة من فعل الوزير الغريب، لم يقل رفاقه شيئاً، بل واصلوا سيرهم.

وبعد أن اجتازوا الجبل الثاني حيَّاهم كلبٌ صغير بنباحٍ عال وتحريكٍ زائد لذيله. كان ابن السلطان على وشك أن يمسك به لولا أن الوزير حال دونه، وشجَّه نصفين بضربةٍ من سيفه. علَّق قائلاً: «كلاهما كان عدواً». وواصلوا سيرهم.

وبعد تخطيهم للعديد من المخاطر والعقبات وصلوا بأمان إلى العاصمة، فاحتفل بعودتهم احتفالاً بهيجاً. غمرت السلطان الفرحة بلقاء ابنه من جديد، وخطبت الفتاتان إلى محبيهما الأمير والوزير، وعلى مدى أربعين يوماً استمرت الاحتفالات استعداداً لزواجهم.

وقبل حلول الظلام، انسل الوزير إلى غرفة العريسين وأخفى نفسه. وفيما بعد جاءت عروسه، وجاء الأمير وعروسه أيضاً، واستلقى الثلاثة ليستريحوا. وبقي الوزير ساهراً، وعند منتصف الليل اهتزَّ السقف وانفتح مصحوباً بضجةٍ مخيفة، ودخل غولٌ مرعبٌ يزحف نحو السرير.

كان الغول من البشاعة إلى درجة أنه لا يمكن لأحد النظر إليه من دون أن يشعر بالغثيان. حين وصل الغول إلى السرير وأوشك أن يُمسك بيديه الشعثاوين السرير، تسلَّل الوزير خلفه وهجم عليه بسيفه. وبعد أن فرغ من هذا، استلقى في السرير ونام.

لما استيقظ الآخرون في صباح اليوم التالي ووقعت أعينهم على الغول الميت، في أرضية الغرفة عند قدمي السرير أصابهم الرعب. سحبوا غطاء السرير على وجوههم ورفضوا أن يتحركوا. وبعد قليل سمعت طرقات على الباب، وصوتٌ يعلمهم أن الوقت متأخر. قالوا: «إننا خائفون من أن ننهض، لأن ثمة شيئاً في الغرفة».

عندئذٍ فتح الباب وفرَّ أولئك الذين دخلوا هاربين بسرعة من الغرفة بسبب ذلك المخلوق المخيف الذي رأوه في أرضية الغرفة. وجاء السلطان نفسه وأبصر جسد العفريت، وسأل: «من الذي جاء بهذا إلى هنا؟».

فأجاب أحد الوزراء الذي كان يغار مما ناله الوزير من حظوة: «هذا من فعل الوزير. من سواه يمكن أن يفعل هذا؟».

ثم أقنع السلطان أن الوزير يشتهي ابنته السلطان، ولهذا حاول أن يخيف ابنه الأمير كي يميته خوفاً. أمر السلطان أن يحضر الفتى إليه، ومع أنه دافع على براءته إلاَّ أن السلطان أمر بقتله.

ولما اقتيد إلى ساحة الإعدام، توسل ولي العهد من أجل إنقاذ حياة صديقه، بقوله: «أبي، يا أبي، لا تدع الوزير يموت. لا يمكن أبداً أن يكون عدواً لي. إنني مدينٌ له بالكثير».

لكن توسلاته ذهبت أدراج الرياح، لأن السلطان رفض أن يصغي. ولما رأى أن موته صار محتّماً، قرر الوزير الصغير أن يفصح عن كل شيء، لأنه كان يفضل أن يتحول إلى حجر من أن يقتل بالسيف. طلب أن يؤخذ إلى السلطان لأن لديه شيئاً هاماً يريد أن يبوح له به. نفّذ طلبه، ثم بدأ يسرد كل شيء منذ مغادرته والأمير القصر حتى حديث الحمامتين الضاحكة والباكية. انظر، يا للدهشة! كان نصف جسده قد تحوَّل إلى حجر. حين رأى السلطان ذلك، صاح: «لا تقل شيئاً بعد، يا طفلي، أنا أصدقك!».

لكن الوزير واصل حديثه: «ما دمت قد صرت نصف حجر، فإن ما ينتظرني من مصير لم يعد يهمني».

أكمل حديثه واستحال كله إلى حجر.

لا حزن السلطان ولا حزن ابنه يمكنهما أن يفعلا شيئاً الآن. انتحب الأمير بمرارة شديدة نادباً صديق عمره، وأمر ببناء نصب فخم لصديقه في الحديقة حيث بات يقضي أيامه ولياليه مهملاً زوجته كلياً.

مرت سبع سنوات على تلك الأحداث، وفي أحد الأيام، بينما كان ابن السلطان واقفاً عند مدخل القصر، انفتح الباب وأطل شيخٌ بلحيةٍ بيضاء. وحين أبصره الأمير حيّاه باحترام وقبّل يده. عندئذ، سأل الشيخ: «لماذا أنت جد حزين هكذا، يا بني؟».

فتح الأمير قلبه للشيخ وأخبره بحزنه. فقال له الشيخ: «يا بني، ثمة سبيل لإصلاح هذا الأمر».

«كيف؟» سأل الأمير بشوق.

«خذ طفلاً في السابعة من العمر، وأرقده على الجسد المتحجر لصديقك، ثم اذبحه هناك ودع دمه يسيل على الحجر. عندئذ سيذوب الحجر لأنه ليس سوى غلاف والجسد الآدميّ بداخلها ليس ميتاً. وهكذا ستستعيد صديقك».

«ولكن، أين يمكنني الحصول على الطفل ذي السابعة؟»، سأل الأمير بقلقٍ بالغ، لأنه هو نفسه كان أباً لطفل بهذا العمر. أجابه الشيخ: «طفلك الصغير سيَفي بالغرض». قال الأمير بتصميم: «سأفعل ذلك».

ثم دخل إلى القصر ودعا ابنه. قالت المربيات وقد ألبسنه ثياباً جميلة: «الأمير يبدو اليوم في غاية السعادة». ثم قرّبنه إلى أبيه.

أخذ الطفل، وأرقده على الحجر، وفعل كما أخبره الشيخ. يا للدهشة! بدأ الحجر تذوب تدريجياً، وفي الحال نهض الوزير حيّاً.

قال الشاب: «أوه، يا أميري، لماذا قتلت طفلك؟ لقد كنت في سكينة تامة في حالتي الحجرية».

أجابه الأمير: «يا وزيري المخلص، لو كان معي مئة طفل لضحيت بهم جميعاً لأستعيدك».

ولما كان الأمير يتكلم، ظهر الشيخ وقال: «تعالا يا ولديّ. سأدعو دعاء وعليكما أن تجيبا آمين، من يدري لعلَّ الله يبعث الطفل حياً مرةً ثانية».

ابتهل الشيخ، ومرّر يديه على وجه الطفل الميت، ويا للعجب! فتح الطفل عينه وابتسم كأنه استيقظ من نومه. نظروا فيما حولهم، لكن الشيخ كان قد اختفى. أخذ الأمير طفله بين ذراعيه وعاد مع الوزير المستعاد وطفله إلى القصر. عانقهم السلطان العجوز وقَبّلهم الثلاثة. واجتمع الوزير ثانية مع زوجته المخلصة، واحتُفل بهذا الحدث السعيد، وفرشت الولائم، وتواصلت الأفراح لأربعين يوماً وأربعين ليلة. وعاشوا جميعاً بقية حياتهم في سعادة تامة.

السلطان مرام والسلطان سعادة

عاش سلطانٌ وكان له ثلاثة أولاد، ولما مات اختلف أولاده على من يخلفه على العرش. وأخيراً اقترح الأخ الأصغر ما يلي: «فليأخذ كلُّ واحدٍ منا سهماً ويطلقه، ومن أطلق أبعد كان العرش من نصيبه».

قبل الآخـران الاقـتراح راضيين، وخرج الثلاثة إلى سهل مفتوح وأطلقوا سهامهم. سقط سهم الأخ الأكبر في نقطة محددة في السهل، وسقط سهم الثاني في نقطةٍ أبعد قليلاً أما سهم الأخ الأصغر فسقط في أحد الأحراش.

وبينما هم منشغلون في استعادة سهامهم، حل الظلام، ولم يعد البحث عن السهام عبثاً بلا طائل فحسب، بل إنهم لم يعودوا قادرين أيضاً على العثور على بعضهم بعضاً.

مهما يكن، فقد لمح الأخ الأصغر بصيصاً من النور يلوح من بعيد، ولما كان غير قادر في الظلام على أن يجد طريقه إلى

البيت، فقد ذهب باتجاه الضوء. وفي الوقت المعلوم وصل إلى سرايا اجتمع حوله أربعون رجلاً. ابتدرهم بالسؤال عما يفعلون، فأجابوه قائلين: «نحن لصوص أمضينا سنوات عديدة نحاول أن نقتحم هذا السرايا، لكننا لم نفلح حتى الآن في تحقيق هدفنا».

وبعد قليل من التحري والبحث، اكتشف الفتى مكاناً يمكنه منه أن يتسلق الجدار. تسلّق حتى وصل إلى قمة السور، ثم دعا الآخرين أن يتبعوه واحداً واحداً. ولما كان الواحد منهم يصل قمة السور، كان يقطع رأسه، ويرمي بجثته إلى الفناء. وبعد أن قضى على الأربعين، دخل إلى السرايا وبدأ يتجوّل في القاعات والممرات.

وهو منشغل على هذا النحو وصل إلى ثلاث حجرات تنام في كلٍّ واحدة منها فتاة جميلة. خطر له أن يتزوج واحدةً منهن ويعطي الأخريين لأخويه. عندئذٍ غرز خنجره بباب الغرفة التي تنام فيها الفتاة التي اختارها، ثم غادر.

ولما أسفر الصبح وجد نفسه قريباً من البقعة التي سقط فيها سهمه. السهام الثلاثة استعيدت فيما بعد، وتبين أن الأخ الأصغر هو الذي أطلق سهمه أبعد من أخويه، فنصّب على العرش باحتفال بهيج يليق بالمناسبة.

وفي الصباح الذي أعقب مغامرة الفتى مع اللصوص، استيقظ السلطان العجوز ووجد الخنجر مغروزاً بباب حجرة ابنته الصغرى. حاول أن يسحبه، لكنه لم يستطع. استدعى خدمه لكنهم لم يكونوا أكثر فلاحاً منه. عندئذٍ أصدر مرسوماً يعلن فيه أن من يستطيع أن يسحب الخنجر من الباب، يتزوج الأميرة الصغرى. جاء الخطاب من بلدان عديدة، ولكن لم يستطع أحد انتزاعه من الباب. لم يبق إلا الإخوة الثلاثة وقد دُعوا لتجريب قوتهم وبراعتهم. حاول الأخ الأكبر أولاً ولم ينجح، وحاول الثاني ولم يحالفه الحظ أيضاً، لكن، عندما قبض الأخ الأصغر الخنجر انتزعه من دون أن يبذل أدنى جهد يذكر ثم أعاده إلى غمده. عندئذٍ، قال السلطان: «يا بنيّ، ابنتي هذه هي لك».

قال الفتى: «لكن لي أخوان».

«فليتزوجا، إذن، الابنتين الكبريين».

احتفل بالزواج الثلاثي، وبعد ذلك امتطى الإخوة الثلاثة مع زوجاتهم جيادهم وعادوا إلى موطنهم.

وبينما هم في طريقهم التمع ما يشبه البرق في السماء التي لا غيوم فيها، وفصل الفتاة من حضن الأخ الصغير واختفيا معاً.

كان ذلك هو العفريت، الذي كان الأربعون لصاً المقتولين على يد الأخ الأصغر هم خدامه، وقد تولّى تنفيذ مهمة خطف الفتاة عملاً بوصية سيدهم.

عندئذ قال الأخ الأصغر لأخويه: «عودا إلى البيت مع زوجتيكما، وعندما أعثر على زوجتي سألحق بكم».

بهذه الكلمات افترق عن أخويه لينجز مغامرته الصعبة الخطيرة. ارتحل صاعداً جبلا وهابطاً وادياً واجتاز السهوب والغابات حتى قابل أمّاً عفريتة، هي أم العفريت الذي حمل عروسه. أبصرها، وكان خائفاً، فقال محدثاً نفسه: «سوف تمزقني إرباً من دون ريب». ومع ذلك فقد اقترب منها بشجاعة ظاهرة وعانقها وابتدرها بالقول: «أماه!».

ردَّت: «يا بني، من أين جئت؟ وإلى أين أنت ذاهب؟».

أخبرها عن هدف رحلته، فقالت المرأة: «العفريت الذي حمل زوجتك هو ابني الذي ظل يتحين الفرصة سنوات عديدة لأخذها. وسيكون من الصعب جداً استعادتها منه، مع هذا، يمكنك أن تحاول. اذهب في الطريق التي سأريك، وستقابل أختي الكبرى. بلغها تحياتي، ولعلها قد ترغب في مساعدتك».

مضى الفتى في الطريق التي أرته إياه وعندما قابل الأخت

الكبرى للأم العفريتة، عانقها وخاطبها بقوله: «أمي»، ونقل إليها تحيات أختها. وبعد ذلك حكى لها عن مشكلته ورجاها أن تساعده. أرسلته هذه الأم العفريتة إلى أخت أخرى هي أكبر منها سناً، وقد تكون قادرة على مساعدته.

ارتحل ثانية، حتى وصل إلى الأخت الكبرى، وبعد أن حياها، قصَّ عليها مشكلته وترجاها أن تساعده. عندئذٍ قالت العجوز: «إن الوصول إلى مسكن العفريت مهمة عسيرة، لكني سأخبرك بطريقةٍ يمكنك بها أن تنجح. ابحث عن مكانٍ محدد على شاطئ البحر وانتظر هناك أربعين يوماً. خلال تلك المدة جياد البحر الفتية تخرج إلى الشاطئ مرةً واحدة. خذ خصلةً من القطن في يدك وينبغي لك أن تفلح في الإمساك بواحدٍ من تلك المخلوقات وتحضره إلى هنا. سوف نقوم عندئذٍ بتغذيته وتدريبه أربعين يوماً، بعدها يمكنك أن تمتطيه وسينقلك حيثما أردت».

انطلق الفتى مرة أخرى حتى بلغ شاطئ البحر، واستعد لموعده أربعين يوماً. وفي اليوم الأربعين ظهرت جياد البحر الصغيرة. أمسك واحداً بخصلة قطنه وعاد به إلى الأم العفريتة. ولما انتهت الأربعون يوماً، قالت للجواد: «هل يمكنك أن تأخذ هذا الفتى إلى حيث يريد؟».

ردَّ الجواد: «أنا ما زلت صغيراً، والعفريت الذي أخذ زوجة هذا الفتى هو أبي. على أي حال، عما قريب يمكنني أن أجري، وأبي سوف يلحق بي بالتأكيد. على أي حال، إن هو غرز دبوساً في عنقي وأنا عائد بالفتاة والفتى على ظهري فقد يجعلني الألم أنطلق بسرعة أكبر. أما أن أمسَكنا العفريت فتلك نهايتنا جميعاً».

امتطى الفتى، بعد سماع هذه الكلمات، جواد البحر واتجه مباشرةً إلى مسكن العفريت. وصلا هناك فوجداه نائماً. وحين أبصرت الأميرة زوجها، صاحت: «أوه، يا أميري، الآن هو الوقت لإنقاذي والفرار بي، لأن العفريت إذا ما استيقظ فإنه سيقتلنا».

وبسرعةٍ أمسك الأمير زوجته، ورفعها إلى جواره على ظهر الحصان، وانطلقا راجعين.

وبعد أن رحلا، صهل جواد العفريت فأيقظه من نومه، تلفَّت حوله فلم ير الفتاة. ومثل ومضة البرق ركب حصانه وهبَّ يطاردهم.

بغرز الدبوس في عنق الجواد على نحوٍ متواصل تصاعدت

سرعة جواد البحر. كان الجواد نفسه يشعر باليأس، فصاح: «أوه، يا أميري، إن أبي آتٍ وسوف يلحق بنا بالتأكيد».

غرز الأمير الدبوس كله في بدن الجواد، وبذل الجواد الشجاع جهداً خارقاً للوصول إلى منزل الأم العفريتة. وما إن رأتهم حتى صاحت: «لا تخافا شيئاً الآن، وإلا كان قد أمسك بك ومزّقك إرباً. تستطيع الآن أن ترحل مع زوجتك، لكن لا تنس أن ترسل لي رجلاً كل يوم. إن أخفقت في تحقيق ذلك الطلب فسأزورك في الليل وأنت نائم وألتهمك أنت وزوجتك».

في تلك الأثناء، انتظر أخواه وصولهما. وقد ابتهجا حين أبصراهما قادمين، واحتفلوا بعودتهما مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة من الولائم والاحتفالات والمرح.

لا عجب أن نسي الأمير في كل تلك الأفراح أن يرسل في أحد الأيام رجلاً إلى الأم العفريتة. وكانت نتيجة هذا الإهمال أن ظهرت الأم العفريتة في الليلة ذاتها والأمير وزوجته نائمان، وحملت السرير بنائميه، واستيقظا في اليوم التالي فوجدا نفسيهما في قبضتها. تعمق يأس الأمير أكثر لأن سبب هذه المحنة الرهيبة يعود إلى إهماله وحده. وبخّته الأم العفريتة كثيراً لنكرانه الجميل، وأخذت تستعد لالتهامهما معاً. بكى وتوسل

إليها طالباً الرأفة بهما. مهما يكن فقد صفحت عنهما بشرط أن يصلح خطأه بمجرد وصوله إلى البيت. وعدها أن يفعل فأطلقت سراحهما. وبينما هما في طريق العودة، جلسا وقد أدركهما التعب كي يستريحا، وضع الأمير رأسه على ركبتي زوجته ونام. وفجأة ظهر العفريت وحمل الأميرة قبل أن يتمكّن الفتى من اليقظة التامة كي يقوم بأي محاولةٍ ليحول دونه.

وللمرة الثانية، محروماً، منبوذاً، وحيداً، راح يتلفت حوله في يأس، فأبصر بئراً ودهش أن يسمع ضجةً تمزِّق الآذان، وغناءً صادحاً، قال محدثا نفسه: «إني لأتعجَّب مما يمكن أن تكون المشكلة هناك في الأسفل؟». وبينما هو على هذه الحال طار عصفورٌ خارجاً من البئر. ولما أبصر العصفورُ الأميرَ خاطبه قائلاً: «ما الذي تبحث عنه هنا أيها الفتى؟».

أجاب: «أنا غريب، وقد أتيت إلى هنا لعلي أعرف سبب الضجة الصادرة من البئر».

قال الطائر: «إنه يوم عرس ابن العفريت السلطان، وأنا ذاهب لجلب الماء للضيوف».

سأله الأمير إن كان باستطاعته أن يشهد العرس. قال العصفور:

«عليَّ أن أذهب لجلب الماء، لكن إن أنت انتظرت حتى أعود فسآخذك إلى أسفل البئر».

وهكذا قرر الأمير أن ينتظر. وقد عاد العصفور بالماء، وقال: «إن أنا أخذتك إلى الأسفل، ورأوك، فسيجرون كلهم نحوك ويصيحون قائلين إن إنساناً ليس له هنا ما يفعل. حينها استدار نحو السلطان وطلب منه العون والمساعدة في محنتك. وعندما يسألك ما مشكلتك، أخبره بما تريد».

قال العصفور هذا، وأخذ بيد الأمير وقاده إلى أسفل البئر.

في قعر البئر وجد نفسه في حديقة فيها أشجار شتى وزهور بديعة جداً لدرجة أنه حسب نفسه في الفردوس. رأى أيضاً طيوراً لا تحصى ما أن رأينه حتى طرن إليه صائحات: «أوه، يا ابن الإنسان، لماذا أتيت إلى هنا، وما الذي تريده؟».

وفي الحال استدار الأمير إلى السلطان، وقصَّ عليه مأساته. سأل ملك العفاريت: «أيها الفتى، كيف أمكن لابن الأرض أن يتوغل إلى هنا؟».

أشار الأمير إلى العصفور الذي حمل الماء، فاستدعاه السلطان إليه، وقال: «خذ هذا الفتى إلى حيث يريد. وإن حلّت بك أي نازلة، ادع فقط: يا سلطاني، وسأنقذك منها؟».

حمل العصفور الأمير على ظهره وطار به مباشرة إلى المكان الذي يسكنه العفريت. حرّرا الأميرة وطار بهما إلى السماء السابعة. لحق بهم العفريت لكنه لم يستطع العثور عليهم، فعاد خائباً يجر أذيال الهزيمة.

انتهى الآن الخطر، فهبط العصفور بالفتى والأميرة إلى البئر ووقف بهما بين يدي السلطان الذي خاطب الأميرة كما يلي: «إن أنتما من الآن فصاعدا عُرفتما بالسلطان مرام وزوجتك بالسلطانة سعادة، فما من سبب يدعو للخوف، لكن احذرا أن تستخدما اسميكما القديمين عن طريق الخطأ».

أخذ الفتى والفتاة حذرهما بخصوص اسميهما الجديدين ورحلا في طريق العودة.

وصلا سالمين واحتفلا بعرسهما مرة ثانية أربعين يوماً يولمون ويمرحون. وفي الليلة الواحدة والأربعين توغّل العفريت إلى غرفة نومهما، والتقط الأميرة وحملها من جديد فاستيقظت وزعقت: «سلطان مرام! سلطان مرام!»

«ما بك يا سلطانة سعادة؟».

وبهذه الكلمات تحول العفريت إلى حجر. وفي الصباح حمل ونصب تمثالاً بجوار البركة في الحديقة التابعة للقصر.

كان الأمير والأميرة يخرجان يومياً للتنزه في الحديقة، وغالباً ما يجلسان بجوار البركة، ناسيين ذات مرَّة تحذير السلطان العفريت، فنادى أحدهما الآخر باسمه الأصلي، فإذا بحجرة العفريت تنشق وتطقطق. وما إن أبصرا ذلك حتى تداركا غلطتهما بسرعة وخاطبا أحدهما الآخر باسمه الجديد (السلطان مرام) و(السلطان سعادة)، مما جعل الحجر يلتئم من جديد، فتبقى تعويذته كما هي ويظل أسيراً.

وبعد فترة طويلة من هذه الأحـداث، حدث أن رأت الأميرة ذات ليلة درويشاً في حلم، وقد خاطبها قائلاً: «إن نسيت ثانية اسمك الجديد وهرب العفريت من الحجر، خذي ماءً من البركة ورشيه على رأس الحجر. وسيسقط الذهب والماس من الحجر إلى البركة وستتحرران من العفريت إلى الأبد».

استيقظت الأميرة وأخبرت زوجها عن الحلم، سأل ولي العهد: «وماذا لو نسيت اسمي الجديد ونسيتِ أنتِ أيضاً أن ترشي الماء على الحجر، فماذا ستكون العواقب حينها؟».

لكن الأميرة أجابت: «دعنا نأمل أننا لن ننسى».

واقتنع الأمير بهذا.

وذات يومٍ كانا جالسين بجوار البركة فانشق تمثال الحجر إلى نصفين، ولدهشتهما رأيا العفريت يخرج منه، صاحت الأميرة: «أوه، يا أسفي، يا سلطان مرام!».

وبدلاً من أن يرش الأمير الماء على الحجر، أستل خنجره وهاجم العفريت. أمسك الأخير الفتى من خصره وكان على وشك أن يحمله فصاح الأمير: «يا سلطانة سعادة!»

وفي الحال، تحوَّل العفريت ثانية إلى حجر ووقع في البركة فاصطبغ لون مائها بالدم.

بعد بضعة أيام، جلسا مرة ثانية بجوار البركة يتطلعان إلى الحجر، فظهر الدرويش الذي رأته الأميرة في الحلم. قال: «لو أنك فعلت كما أخبرتك تماماً، فإن الذهب والماس سيتساقطان

من الحجر بدلاً من الدم. احذري من قول: «إننا فعلنا هذا فقط»، خشية أن يظهر العفريت الآن ويأخذك بطريقة لا تلتقيان بعدها أبداً».

عندما اختفى الدرويش، قال ولي العهد بحماس: «دعينا، إذن، نتحاشى هذا المكان، يا سلطانة سعادة، لأننا لو نسينا صدفة مرةً ثانية، فلربما لن يكون ثمة أمل في الخلاص».

وهكذا هجرا الحديقة إلى الأبد. وظل الدم يتدفق من الحجر مالئاً البركة، أما خلف الحديقة فقد قضى الأمير والأميرة حياتهما في سعادة وسلام.

الساحر وتلميذه

عاشت امرأة وابنها الوحيد. وقد أرسلته إلى مدارس عديدة، لكنه كان يفرُّ منها جميعاً وسألت الأم ابنها محتارةً: «إلى أي مدرسة أرسلك، إذن؟».

ردَّ عليها: «لا ترسليني، ولكن اذهبي معي، فإن أنا أحببت المكان فلن أهرب».

فأخذته إلى السوق، وهناك شاهدا عدداً من الناس يشتغلون في حِرفٍ متنوعة، ومن بينهم أحد السحرة.

انجذب الولد كثيراً إلى هذا الأخير وطلب من أمه أن تُسلِمَه ليتتلمذ على يده. ذهبت الأم إلى الرجل وأخبرته عن رغبة ابنها. وانتهى الأمر بسرعة حسبما يرضي الطرفان، وتُرِك الولد لمعلمه الساحر.

تعلم الولد بمرور الأيام كلَّ ما استطاع الساحر أن يعلّمه. وفي أحد الأيام قال له الساحر: «سأحوّل نفسي إلى خروف، خذني إلى السوق وبعني، لكن تأكد من الاحتفاظ بالحبل».

وافق الفتى، وحوَّل الساحر نفسه إلى خروف، فأخذه الفتى إلى الدلّال الذي باعه في السوق حيث اشتراه رجلٌ بمبلغ خمسمئة «بيستر»، لكن الفتى أبقى الحبل معه كما أخبره الساحر. وفي المساء، استأنف المعلم شكله الإنساني وفرَّ من المشتري وعاد إلى البيت.

وفي اليوم التالي قال المعلم لتلميذه: «سأتحوّل الآن إلى حصان، خذني وبعني، لكن احرص على الاحتفاظ بالحبل».

قال الفتى: «أنا فاهم».

وقاد الحصان إلى السوق حيث بِيْعَ بواسطة الدَّلال بألف «بيستر». احتفظ التلميذ بالحبل وعاد إلى البيت. خَطر له خاطر، فقال يحدث نفسه: «فلأر الآن إن كنت أستطيع مساعدة نفسي». وذهب إلى أمه وقال لها: «يا أماه، لقد تعلمت كلَّ ما ينبغي تعلُّمه. شكراً لك لتركي أتتلمذ على يد الساحر. أستطيع الآن أن أجمع مبالغ طائلة من المال».

لم تدر المرأة المسكينة قصده، فقالت: «وما الذي ستفعله، يا بني؟ آمل أنك لن تفرَّ مرة ثانية وتسبب لي المزيد من المتاعب».

قال: «لا. غداً سأحوِّل نفسي إلى حمام، وأنت ستقومين ببيعي، لكن احرصي على ألاّ تبيعي المفتاح مع الحمام وإلا انتهى أمري».

وبينما يتحدث الفتى مع أمه، فرَّ الساحر من الرجل الذي اشتراه كحصان، وعاد إلى البيت. ولما لم يجد صبيَّهُ هناك، غضب وصاح: «أنت، أيها المغفل، لقد بعتني كلياً هذه المرة كما يبدو، لكن انتظر حتى تقع في يدي مرةً ثانية!». وبقي في تلك الليلة في البيت، وفي صباح اليوم التالي خرج باحثاً عن تلميذه المتغيب من دون إذن.

حوَّل الفتى نفسه إلى حمامٍ جميل، وعرضته أمه للبيع في المزاد. كان كل الناس في المدينة مندهشين من جمال الحمام، فتحلقوا حول الدلال. وكان الساحر بينهم، وحزر مباشرةً أن هذا القفص هو في الحقيقة تلميذه الوغد. لم يقل شيئاً، بل انتظر حتى دفع السادة والأثرياء وغيرهم أعلى المبالغ، فدفع هو أعلى مبلغ فبيع الحمام له هو. دعيت المرأة، وعندما أوشك الساحر أن يسلِّم المبلغ لها قالت إنها لا تستطيع أن تسلِّم المفتاح. عندئذٍ قال الساحر إنه لن يدفع المبلغ إن هو لم يأخذ المفتاح. وأراها أن لديه مالاً كثيراً، وذكرَّ المرأة أن المفتاح بعينه لا يساوي لها شيئاً

ذا أهمية، وأن باستطاعتها أن تشتري مفتاحاً آخر إن كان ذلك ضرورياً. وافق المارة كلهم على اقتراح الساحر، ولما لم تكن الأم تعرف بأهمية الاحتفاظ بالمفتاح، أسلمته للساحر وأخذت المبلغ المخصص ثمناً للحمام. وعندما سلمت المفتاح، شعر الفتى أن ساعته قد دنت، لذلك غيَّر نفسه إلى طائر وطار بعيداً. وحوَّل معلمه نفسه إلى صقر وانطلق وراءه. طار الاثنان مسافاتٍ طويلة حتى وصلا إلى مدينة أخرى حيث كان السلطان يسلِّي نفسه في حديقة القصر.

وكملاذٍ أخير، حوَّل الفتى نفسه الآن إلى وردةٍ جميلة وسقط عند قدمي السلطان. أظهر السلطان دهشته لمنظر الوردة إذ لم يكن الموسم موسم الورود. استنتج السلطان قائلاً: «إنها هبةٌ من الله. إن رائحتها عطرةٌ جداً لدرجة أن لا نظير لها في موسم الورود».

وعندئذ استعاد الساحر شكله الإنساني ودخل وفي يده عودٌ إلى الحديقة بوصفه مغنياً وعازفاً على العود. وبينما أخذ ينقر على آلته كان السلطان يلاحظه بعد أن دعاه وأمره بأن يغني أغانيه. وفي إحدى أغانيه المرتجلة طلب المغني من السلطان أن يعطيه الوردة. وما إن سمع السلطان ذلك حتى استشاط غضباً

فقال: «ما الذي تقوله، أيها التافه؟ هذه الوردة هي هدية الله لي! كيف تجرؤ أنت، أيها الضال، أن تطلبها؟»

أجاب المغني: «أيها السلطان، إن مهنتي واضحة. لقد وقعت في حب وردتك، وقد ظللت أبحث عنها سنواتٍ عديدة لكني حتى الآن لم أفلح في العثور عليها، وإن أنت وهبتها لشخصٍ غيري فإنني سأقتل نفسي. أليس هذا مدعاة للشفقة؟ لقد تعقبتها في الجبال وسقطت، وقد وجدتها الآن في يدي السلطان الكريمتين الرقيقتين. ألن تشفق على رجلٍ بائس مثلي، فقد الحب والنور والسعادة؟ هل من العدل أن أبتلى على هذا النحو؟ سوف لن أتزحزح من مكاني حتى تهبني الوردة».

استثير السلطان، وقال محدثاً نفسه: «قبل كل شيء، ما جدوى هذه الوردة لي؟ دع هذا المنكود التعيس يظفر بالوردة».

خطى السلطان إلى الأمام وأعطى الوردة للمغني. غير أن هذا الأخير لم يكد يمسك بها حتى سقطت على الأرض وتحوَّلت إلى سنبلة. وسرعان ما حوَّل الساحر نفسه إلى ديك وأخذ يلتقطها. إلا أن حبةً منها وقعت عند قدم السلطان فلم ينتبه لها الديك. تحوَّلت تلك الحبة فجأةً إلى الفتى، فالتقط الديك وعصر رقبته، بكلمات أخرى تخلَّص من معلمه.

ذُهِل السلطان من كل هذا الذي يحدث، وطلب من الفتى أن يشرح له اللغز. فأخبره الحكاية منذ البداية حتى النهاية فسر السلطان سروراً عظيماً من براعته في السحر فعيَّنه وزيراً أول له وزوجه ابنته. صار الفتى الآن قادراً على الإنفاق على أمه، وهكذا عاشوا جميعاً في سعادة تامة.

سلطان الثلاثين عفريتاً

منذ زمن بعيد جداً، عندما عاشت الجنيات، وعندما كنت أتسكَّع في الحدائق المحرمة، صادفت واحدة ومررت بتجارة سيئة جداً. رسمت حصاني وظننت أن لونه حينها بدا طبيعياً، واشتريت حماراً وحسبته زوجتي، وعندما رفسني الحمار ذات يوم رفسةً عنيفة، حسبت أن زوجتي تلاطفني. واصلت النوم طويلاً في الأطلال القديمة التي سكنتها البوم حتى مررت بتجربة سيئة أخرى. وضعت كرة مدفع ضخمة في جيبي ظناً أنها فاكهة، وألصقت المنارة السامقة في فمي على أنها بوق، واحتضنت القلعة وحسبتها دبًّا، ووضعت نفسي في وسط ماء البحر على أني صخرة: باختصار، لقد كنت أعظم مغفل بين كل المغفلين. كانت خطيئتي هي حكاية هذه الحكايات.

عاش أحد السلاطين في الزمان الغابر وكان له ابنة جميلة كالبدر، وطويلة كسروةٍ، تتوهّج عيناها كالجمر، وشعرها فاحمٌ كالليل، حاجباها أشبه بقوسين ورموشها بالسهام.

كان حول القصر حديقة شاسعة وفي وسطها بحيرةٌ واسعة. كانت الأميرة تجلس بجانب هذه البحيرة كل يوم تخيط وتطرِّز. وذات يوم كان خاتم الأميرة موضوعاً على طاولة بجوارها، فحطت حمامةٌ صغيرة والتقطت الخاتم بمنقارها وطارت بعيداً. كانت الحمامة جد جميلة لدرجة أن الأميرة وقعت في حبها. وفي اليوم التالي، وضعت الأميرة سوارها على الطاولة، وحملت الحمامة السوار كما فعلت بالأمس. اتقدت شعلة حبها الآن وصارت في ذروتها إلى حد أنها لم تعد تأكل أو تشرب، وانتظرت بصعوبة مجيء اليوم التالي. وفي اليوم الثالث أخذت الشريط من الطاولة ووضعته قريباً منها. وجاءت الحمامة كعادتها ثم طارت ومعها الشريط. وبصعوبة وجدت الفتاة في نفسها القدرة على النهوض، فعادت إلى القصر باكية، وهناك انهارت تماماً. إحدى سيدات البلاط فهمت محنتها وسألت: «ما بك، يا سيدتي، ما الذي يبكيك؟ من الذي آذاك؟».

ردَّت ابنة السلطان باكية ومتنهِّدة باستمرار: «إني متعبة ومحزونة القلب».

كانت الأميرة هي ابنة السلطان الوحيدة، وقد خشيت امرأة البلاط أن تخبره عن علتها. إلا أنها لما رأت الأميرة تشحب يوماً

بعد يوم، تغلبت على خوفها وأخبرت السلطان بحالة الأميرة. زارها السلطان قلقاً ومعه طابورٌ طويل من الأطباء والحكماء، غير أنه ما من أحد استطاع عرف سرّ مرضها. وفي اليوم التالي، قال الوزير للسلطان: «الأطباء والحكماء لن يفلحوا في علاج ابنتك. علينا أن نبحث لها عن علاج في مكان آخر».

اقترح على السلطان أن يبني حماماً ضخماً تستطيع مياهه أن تشفي كل الأوجاع، وعلى كل من يستخدم الحمام أن يروي قصة حياته. بُني الحمام، وصدر مرسومٌ ملكي يعلن، أنه باستخدام ذلك الحمام، يحصل الأصلع على شعر، والأصم القدرة على السمع، والأعمى القدرة على الإبصار، والأعرج القدرة على المشي. انتشر الخبر، وكل شخص حصل على حمام مجاني شفي من علته، وسمح له أن يغادر بعد أن حكى قصة حياته.

كان أحد الرجال أصلع وله أم عرجاء، فسمعا عن خاصية الحمام الشفائية. قال الابن: «دعينا نذهب، من يدري، لعلنا نشفى».

غمغمت الأم: «وكيف أستطيع أن أذهب وأنا لا أقوى على الوقوف على قدميّ؟».

أجابها الابن الأصلع: «هذا أمرٌ سهل».

وحمل أمه على ظهره ومضى إلى الحمام. وفي الطريق أدركه التعب، ولما وصل إلى حقل قريب من النهر حطَّ أمه على الأرض ليستريح قليلاً. مرَّ ديك ومعه إبريق من الماء يحمله على ظهره. ودَّ الأصلع أن يعرف إلى أين هو ذاهب هذا الديك، فتبعه بفضول زائد، حتى وصل إلى قلعة كبيرة، دخلها الديك من حفرة في الجدار. زحف الشاب داخلاً بعده فوجد نفسه أمام قصر فخم. لم يعترضه أي إنسان فدخل وصعد السلالم البديعة ودخل إلى حجرة المدخل، ثم راح ينتقل من حجرة إلى أخرى حتى تعب من المشي. قال يحدث نفسه: «ربما وجدت حياً يرزق عما قريب» ثم أخفى نفسه في خزانة استطاع من خلال ثقب فيها أن يرى كل ما يحدث في الخارج. عندئذ شاهد ثلاث حمامات يدخلن من النافذة، ثم هززن أنفسهن وتحوَّلن - ويا للدهشة! - إلى فتيات جميلات مما لم يسبق له أن رأى مثلهن في حياته. قالت إحداهن: «لقد تأخرنا كثيراً. السلطان سيكون هنا في الحال، ولم نعدّ شيئاً بعد».

تناولت إحداهن المكنسة وأخذت تكنس الغرفة، وأخذت الثانية ترتِّب الطاولة، بينما أحضرت الثالثة الأطباق. وها هنَّ

يهززن أنفسهن ثم يتحوَّلن إلى حمام مرة ثانية ويطرن خارجات من النافذة. شعر الأصلع بالجوع وفكر أنه ما دام لا يوجد أحد هنا، فإن باستطاعته أن يخرج من مخبأه ويأكل شيئاً من الطعام. ولمَّا مد يده ليلمس الطعام، فوجئ بضربة قوية على يده فانتفخت. ومدَّ يده الأخرى وحصل الأمر ذاته. ذعر الأصلع فهرع إلى خزانته، وما إن أغلق الباب على نفسه حتى طارت حمامة بيضاء إلى داخل الحجرة، نفضت ريشها، وظهر شابٌ وسيمٌ.

ثم مضى نحو صندوق صغير، وفتحه وأخرج خاتماً وسواراً وشريطاً. ثم أخذ يناجي: «أيها الخاتم، كم أنت سعيد لأنك في إصبعها! وما أسعدك أيها السوار لأن ساعدها قد ارتداك!» ولما بكى، مسح دموعه بالشريط. ثم أعاد تلك الأشياء إلى الصندوق، وأخذ يتناول الطعام الذي أعدَّ له، وبعدئذٍ استلقى على الفراش.

استطاع الأصلع الجائع بصعوبة بالغة أن يحيا حتى اليوم التالي، عندما نهض الشاب الوسيم، وهزّ نفسه، استحال طائراً وطار خارجاً من النافذة. عندها سرق الرجل الصندوق، ودخل إلى الفناء وفرَّ من الحفرة التي في الجدار مستعيداً حريته. التحق بأمه المسكينة التي كانت تبكي وتنتحب لأنها ظنت أن ابنها هجرها وتخلى عنها. غير أنه أفلح في التخفيف عنها، وحملها

على ظهره ومضى نحو الحمام. استحما، وخرجت العجوز من دون عرج، وخرج الأصلع وقد نبت له شعر في رأسه. عندئذٍ قصًّا قصتهما، وعندما سمعت ابنة السلطان بها وعدت أن تمنح الرجل مكافأة مجزية إن هو أخذها إلى القلعة التي وصفها.

وهكذا انطلقت الأميرة في اليوم التالي والرجل الأصلع سابقاً يقود طريقها، ووصلا في الوقت المعلوم إلى نهاية رحلتهما. أراها أسوار القلعة، وساعدها على الدخول من الفتحة التي في السور، وقادها إلى حجرة الحَمام، وأشار لها إلى الخزانة التي يمكنها أن تختبئ فيها. غادر عائداً بعد أن أكمل مهمته، وبالثروة والعافية المستعادة عاش مع أمه في راحة بقية أيامهما.

قبيل المساء طارت الحمامات الثلاث إلى الحجرة. حوَّلن أنفسهن إلى فتيات وكنسن الغرفة ورتبن كل شيء ووضعن الطعام على الطاولة وغادرن. وفي الحال طار الحمام الأبيض إلى الغرفة، وأغمي على الأميرة في الخزانة من شدة الفرح والنشوة، عندما أبصرته يتحوَّل إلى شاب وسيم. ذهب إلى الصندوق الصغير، سحب الخاتم والسوار والشريط وتلك كلها كانت ملكاً سابقاً لها. وأخذ يناجي: «أيها الخاتم، ما أسعدك لأنك في إصبعها العزيز. أيها السوار، ما أسعدك لأن ساعدها قد ارتداك!» واغرورقت عيناه بالدموع، وجففهما بالشريط.

كاد قلب الفتاة ينفطر حزناً. ولم تعد تحتمل، فطرقت باب الخزانة من الداخل بإصبعها. سمع الفتى الصوت، وفتح الخزانة، ويا للدهشة! ها هي حبيبة قلبه واقفة أمامه وجهاً لوجه. تعانقا، ولدقائق ظلا عاجزين عن الكلام وقد عقدت الدهشة والبهجة لسانيهما لهذا اللقاء المفاجئ.

سألها الفتى كيف دخلت إلى قصر العفاريت، فأخبرته بكل شيء. عندئذٍ أخبرها أنه ولد لأمٍّ بشرية، لكن العفاريت سرقته وهو في اليوم الثالث من العمر، أما الآن فقد صار سلطانهم. لقد أجبر أن يبقى معها اليوم بأكمله سوى ساعتين يكون فيها حرّاً. وكان باستطاعة الفتاة أن تبقى هناك في ذلك اليوم، وخلال النهار يمكنها أن تخرج وتدخل كما يحلو لها، وقبيل المساء لابدّ لها من أن تختفي لأن الثلاثين عفريتاً حينها يعودون إلى البيت، وإن هم أبصروها فسيقتلونها. وفي الصباح سيريها سكن أمه حيث يمكنها أن تبقى في أمان، وحيث يستطيع هو أن يقضي ساعتي حريته معها.

في اليوم التالي، أشار سلطان العفاريت إلى ركن أمه طالباً من الأميرة أن: «اذهبي، وحيِّيها باسم البيك باتشيار وستدخلك وتكون لطيفةً معك».

عندما طرقت الفتاة، جاءت إلى الباب امرأةٌ عجوز، وما إن سمعت اسم ابنها حتى استقبلت زائرتها بكل ترحيب. أقامت الأميرة هناك لوقت طويل، وكان يزورها يومياً الطائر الصغير. وبعد مرور الوقت حدث أن ولد ابن صغير للأميرة لكن العجوز لم تعلم بالأمير الصغير، ولم تعلم بأن ابنها كان يزور البيت.

جاء الطائر الصغير في اليوم التالي كالعادة وطار داخلاً من النافذة، وسقسق: «كيف هو ولدي الصغير؟».

أجابت الأميرة: «إنه في خير حال، لكنه ينتظر البيك باتشيار».

تنهد الفتى: «لو أني أمي عرفت، لكانت أعدَّت غرفتها في أحسن صورةٍ من أجلك».

حوَّل نفسه عندئذٍ إلى شكله الإنساني، ولاطف زوجته وداعب ابنه. وعندما انتهت الساعتان، حوَّل نفسه إلى طائر وطار خارجاً من النافذة.

في تلك الأثناء سمعت الأم صوت ابنها وكانت مسرورة في أعماقها. جرت إلى زوجة ابنها، وقبلتها مرةً بعد مرة، ثم تركتها وأعدت لها أفضل غرفة. ولما صار كل شيء مريحاً سألت

الأم عن ابنها. وبذلك كانت قد أظهرت أنها تعي أنه سرق من قبل العفاريت، وهي الآن بصدد ابتكار وسيلةٍ ما لكي تسترجعه منهم. قالت: «عندما يجيء ابني غداً، أصري على استبقائه وقتاً أطول من المعتاد، ثم اتركي الباقي عليَّ».

في اليوم التالي، طار الحمام إلى النافذة ولم ير الأميرة في الداخل، فطار إلى أفضل غرفة وغرَّد: «كيف هو ولدي الصغير؟».

أجابت الأميرة: «هو في خير حال، وينتظر باتشيار».

غيَّر الطائر الآن نفسه إلى شكله الإنساني، وأسعد الزوج والزوجة أحدهما الآخر إلى أبعد حد، لدرجة أنهما لم يتنبَّها لمرور الوقت.

ما الذي كانت تفعله السيدة العجوز حينها؟

أمام المنزل، نمت سروةٌ كبيرة، وعلى فرعها تحط أحيانا ثلاثون حمامة–عفريتة. وعلى تلك السروة ألصقت العجوز دبابيس سامة في الشجرة بأكملها. وقبيل المساء أقبلت العفاريت باحثة عن السلطان المفقود وحطت على الشجرة: وما إن لامست الدبابيس حتى سقطت ميتة.

حين رأى الفتى ذلك، أصابه الرعب بعد فوات الأوان. جرى هنا وهناك وصادف أن ألقى نظرة إلى الخارج فأبصر أن الثلاثين عفريتاً لم تعد على الشجرة. صارت الآن فرحته تتساوى مع كربه الذي أصابه قبلاً، وعندما شرحت له الأم ما حدث، لم يعد لسعادته حدّ. وعادت الأم والابن وزوجته وابنهما أحدهما للآخرين، والآن - إذ لم يعد ثمة من أحدٍ يتحرَّش بهم - أخذوا يحتفلون باجتماعهم من جديد لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة.

المحتال واللص

عاشت ذات مرة امرأةٌ داهية وكان لها زوجان لم يعرف أيٌّ منهما عن وجود الآخر شيئاً. كان أحدهما يكسب رزقه من الاحتيال، ويكسب الآخر رزقه من السرقة وكان كلٌّ منهما بارع في حرفته التي تعلمها من زوجته.

ذهب اللص بما سرقه من بضائع إلى التاجر، وباعها وأخذ النقود إلى المرأة. ثم جاء الآخر إلى التاجر، وأمسكه من تلابيبه قائلاً: «تلك البضائع ملكي، هي وأخرى غيرها سرقت مني - أنت سرقتها، أنا متأكد. لسوف ترجعها إلى المكان الذي أخذتها منه».

لكن التاجر اعترض قائلاً: «وآ أسفاه! أنا لست لصاً، لقد اشتريت هذه الأشياء من الآخرين. فكيف تقول إنها ملكك؟ دعني أذهب وأرى اللص الحقيقي».

تعالى الصياح، وأدرك اللص أنهم عاجلاً سيجيئون نحوه،

فعاد إلى البيت في الحال. أعلمته زوجته أن سرقته قد كشفت ونصحته أن يهرب لبضعة أيام حتى لا تقبض عليه الشرطة.

أخذت المرأة ذيل شاةٍ وقطعته نصفين، نصف وضعته مع الخبز في صرَّةٍ وأعطته اللص الذي فرَّ في الحال مثيراً تراب المدينة بقدميه وهو يغادرها.

وبعد وقتٍ قصير عاد المحتال إلى البيت وأخبر المرأة أن لعبته افتضحت وأن احتياله لا يمكن أن يخفى. قال: «أعطيني بعض الطعام، وسوف أواري نفسي عن الناس، حتى تهدأ العاصفة».

فأعطته المرأة نصف رغيف والنصف الآخر من ذيل الشاة، وولّى هارباً. الأول، مرهقاً من طول السير، وصل إلى نهرٍ وجلس ليستريح. ولما أخذ يفك صرَّة طعامه وصل المحتال، وجلس وفك صرته ليأكل. قال الأول: «دعنا، أيها الصديق، نأكل معاً».

فجلسا وجهاً لوجه. لاحظ أحدهما التشابه بين قطع طعامهما، وضعا قطعتي الخبز معاً ووجدا أنهما يشكلان رغيفاً واحداً. ثم قابلا قطعتي الشاة فكانت النتيجة ذيل الشاة كله.

مذهولاً، قال المحتال: «إن كان لي أن أسأل، من أين أتيت؟».

ردَّ اللص: «من مدينة كذا وكذا».

«في أي شارع تعيش؟»

«في شارع كذا، تسكن امرأةٌ هي زوجتي».

صعق المحتال وكاد يختنق من فرط الدهشة. صاح: «الله! الله! تلك المرأة هي زوجتي. إنها زوجتي منذ عام كامل. لماذا تكذب؟».

ردَّ اللص: «يا رجل، هل جننت أم أنك تمزح؟ تلك المرأة هي زوجتي منذ زمن طويل».

لم يدريا شيئاً عن هذه الأحجية، وحكَّ كلٌّ منهما رأسه. ثم قال المحتال أخيراً: «هذه مسألة لا نستطيع أن نبتَّ بشأنها وحدنا، دعنا نذهب إلى المرأة ونسألها. وهكذا سنعرف منها أياً منا هو زوجها».

نهضا ومضيا معاً.

وحين أبصرتهما المرأة آتيين معاً، شكَّت بالأمر. حيتهما ودعتهما ليجلسا، وجلست هي في مواجهتهما. بدأ المحتال الحديث قائلاً: «قولي لنا، زوجة من أنت؟».

ردَّت: «حتى الآن، كنت زوجتكما معاً. ومن الآن فصاعداً سأكون زوجة الأبرع منكما. لقد علَّمت كلاً منكما حرفةً، وسيكون زوجي من يستعمل حرفته على أكمل وجهٍ يرضيني».

أقرَّ كلا الرجلين أن يحتكما لقرار المرأة. قال المحتال للِّص: «سأبرهن اليوم على مهارتي، وغداً تبرهن أنت على مهارتك».

وعلى هذا غادرا البيت وذهبا معاً إلى السوق.

لاحظ المحتال رجلاً يضع ألف قطعةٍ ذهبية في محفظته، ثم أخفاها في عبِّه. انسل الأول خلفه وفي الزحام جرَّد الرجل من محفظته، ثم ذهب إلى مكان معزول وأخذ تسع قطع ذهبية، وخلع ختمه من إصبعه ووضعه في المحفظة، وأقفلها، ورجع وأعاد المحفظة من دون أن يلحظه أحد إلى عبّ صاحبها.

لقد قلنا «من دون أن يلحظه أحدٌ»، ثمة رجلٌ -طبعاً- أبصر الحيلة، ونعني به اللص. بعدئذ ذهب المحتال وعاد بعد بعض الوقت إلى صاحب المحفظة، وأمسك به من خناقه وصاح: «آه، أيها الوغد! لقد سرقت محفظتي بما فيها من عملات ذهبية».

أحرج الرجل، ولم يفهم شيئاً عن التهمة، لكنه أجاب: «أيها الأخ، امض لشأنك واتركني في سلام، فأنا لا أعرفك».

ردَّ المحتال بقوله: «ليس من الضروري أن تعرفني، تعال معي إلى القاضي».

ولم يكن هناك بدٌّ من الذهاب إلى القاضي. كان المحتال هو صاحب الدعوة.

سأل القاضي صاحب المحفظة: «كم قطعةً ذهبية هنا؟».

فردَّ على الفور: «ألف».

ثم استدار القاضي إلى المحتال وسأله: «وكم قطعة سرقت منك؟».

ردَّ: «تسع مئة وواحدةٌ وتسعون قطعة ومعها ختمي موجود بداخل المحفظة».

عدَّ القاضي القطع الذهبية، ويا للعجب! كان عددها تسع مئةٍ وواحدةً وتسعين قطعة، ومعها الختم! ضُرِب المالك الحق للمَحفظة ضرباً مبرحاً، وسلِّمت المحفظة إلى المحتال، ومضى في طريقه.

وفي مساء اليوم التالي، أخذ اللص حبلاً وذهب مع المحتال إلى قصر السلطان. رمى اللص الحبل من فوق السور حيث عَلِق

في الأعلى، تسلَّقه وتبعه رفيقه. دخلا إلى غرفة الكنوز بعد محاولة فتحها بمفاتيح عديدة، وعندها نصح اللص المحتال أن يأخذ معه من القطع الذهبية قدر ما يستطيع حمله. كان هو نفسه مبهوراً برؤية كل ذلك الذهب، وجمع قدر ما استطاع وحمله على ظهره وخرج الاثنان. ذهب اللص إلى زريبة الطيور، وأمسك إوزّة وعصر رقبتها وشكّها في سفُّود وأشعل ناراً تحتها ووضعها لتنضج، وطلب من رفيقه أن يقلبها حتى لا تحترق. وذهب هو إلى حجرة نوم السلطان. ناداه المحتال: «أنا ذاهب لأخبر السلطان عمّا اجترحتُه من عملٍ بارع، وأسأله عمّا إذا كانت المرأة تخصني أنا أم أنت؟».

ناداه المحتال: «أسألك بالله أن تدعنا نذهب من هنا، وسأتخلى لك عن المرأة، خذها».

ردَّ اللص: «آه، نعم. أنت تقول الآن هذا، وغداً ستغيِّر رأيك. لكن إذا حسم السلطان الأمر فلابدّ لك من أن تطيع».

انسل اللصُّ إلى حجرة نوم السلطان. ومن حيث أخفى نفسه كان باستطاعته أن يراقب ما يدور في الداخل، فأبصر السلطان مستلقياً في السرير، وكان أحد العبيد يفرك قدميه وهو يلوك الزبيب. أخذ اللص شعرة حصانٍ ملقاةً على الأرض وألصق أحد

طرفيها في فم العبد حتى تعلق بالزبيب. كان العبد مثقلاً بالنعاس فأخذ يتثاءب، وسرعان ما فتح فمه فسحب اللص الزبيب بشعرة الحصان ووضعه في فمه هو. عندها فتح العبد عينيه على سعتهما وأخذ ينظر في أرجاء الحجرة ولكنه لم يستطع أن يعثر على زبيبه في أي مكان. وبعد قليل غفا. وضع اللص قنينةً ذات رائحة قوية تحت أنفه فأغمي عليه وسقط على أرضية الحجرة كجذع شجرة. رفعه اللص برفق ووضعه في سلةٍ وعلّق السلة من الشرفة وراح هو يواصل تدليك قدمي السلطان (المحتال الذي لحق اللص شاهد كل شيء من ثقب الباب). وفجأة قال اللص بنبرة خافتة عندما تحرك السلطان: «مولاي السلطان، إن أنت سمحت لي فسأحكي لك قصة».

تمتم السلطان: «حسناً، دعني أسمعها».

وقص اللص كلّ ما جرى بينه وبين رفيقه. (استدار نحوه وصرفه ليذهب ويقلّب الإوزّة خشية أن تحترق). حكى قصة سرقته لغرفة المجوهرات، وسرقته لزبيب العبد من فمه (وطوال هذا الوقت كان رفيقه يرتجف خلف الباب، ويردّد خائفاً: «اخرج، دعنا نذهب») وقد أدى هذا إلى أن يقطع اللص حكايته، ويقول له: «اذهب وانتبه للوزّة».

وختم اللص مخاطباً السلطان: «والآن، يا مولاي السلطان. مأثرةُ من هي الأعظم؟ مأثرتي أم مأثرة صديقي؟ أينا ظفر بالمرأة؟».

أجاب السلطان أن اللص كان فعلاً هو الأعظم، ولذا، فإن المرأة هي من حقه هو.

واصل اللص تدليك قدمي السلطان لبعض الوقت حتى غرق في النوم، ثم انسل دون ضجة والتحق برفيقه. قال: «هل سمعت ما قاله السلطان، إن المرأة هي من نصيبي؟».

رد المحتال: «نعم، سمعت».

فأكد اللص: «امرأة من هي؟».

ردَّ المحتال: «لقد قلت لك، إنها لك». وأضاف وهو يوشك على الانهيار خوفاً: «والآن دعنا نخرج من هنا قبل أن نكتشف. إنني أكاد أموت. إني على وشك أن أفقد صوابي».

عندئذٍ بدأ اللص من جديد: «أنت تكذب، سأرجع إلى السلطان ثانية وأسأله».

أصاب المحتال الرعب فقال: «سوف يقبض عليك. أسألك بالله، دعنا نخرج من هنا. ليست المرأة لك فحسب، بل سأكون أنا أيضا عبداً لك!».

وأخيراً، خرجا وأخذا المجوهرات معهما.

ذهبا مباشرة إلى المرأة التي كانت في غاية السرور من دهاء اللص فأعلنت أنه زوجها الوحيد على الفور.

في صباح اليوم التالي، استيقظ السلطان ودعا عبيده. ساد الصمت المكان كله. ولما لم يأتِ أحد، انتظر السلطان قليلاً ثم نادى من جديد، ولم يأت حتى عبدٌ واحد، فاستشاط غضبه، ونهض من سريره فرأى السلَّة معلقة في الشرفة. سأل: «ما هذا؟». وأنزل السلة فرأى خادمهُ في حالة من غياب الوعي. فصاح بصوتٍ أعلى، وهرع عدد من الخدم والعبيد وأخذوا يجرون هنا وهناك، وأيقظوا العبد المغمى عليه. طلب السلطان أن يعرف ما حدث لذلك الرجل. لم يدر الرجل ما يقول. عندها بدأ السلطان يتذكر أنه استمع في الليل لقصةٍ ما حكاها أحد اللصوص. جلس في الحال على عرشه وأرسل في طلب وزرائه. كل الوزراء والولاة ورجال البلاط جاءوا، وعندما اجتمعوا أعاد السلطان ذكر تجربة الليلة الماضية. وانتهى إلى القول: «لابدّ من

العثور على هذا اللص. فليُعلن في المدينة كلها أن باستطاعته أن يجيء إليَّ مطمئناً. أقسم بالله ألاَّ يناله أي أذى. ويمكنه الاحتفاظ بالذهب الذي أخذه وسوف أخصص له مرتباً شهرياً».

وهكذا، أعلن في المدينة عن رغبة السلطان مولاهم وسيدهم. سمع اللص، وعلم أن السلطان أقسم فذهب بشجاعة إلى حضرة السلطان وقال: «يا مولاي السلطان: يمكنك أن تقتلني أو تكافئني. أنا الرجل المطلوب».

سأل السلطان: «لِمَ فعلت هذا كله؟». حكى اللص الحكاية من البداية حتى النهاية.

ووفاء بكلمته، سمح السلطان للِّص أن يحتفظ بالكنز المسروق، وقرر له منحة شهرية بقية حياته. غير أن اللص أقسم امتناناً لعفو السلطان ورقِّة قلبه وسمو روحه أنه لن يسرق ثانيةً أبداً. وظل هو وزوجته يدعوان باستمرار للسلطان بالصحة والسعادة طوال حياتهما.

الثعبان الخرافيُّ والمرآة السحرية

أوصى حطابٌ فقير ابنه قائلاً: «عندما أموت، عليك أن تواصل الاشتغال بما كنت أشتغل به. اذهب كل يوم إلى الغابة. يمكنك أن تقطع أي شجرة ما عدا تلك الشجرة التي في طرف الغابة، فإن عليك أن لا تلمسها».

وبعد أيام توفي الحطاب ودُفن.

اشتغل الابن حطاباً كأبيه وراح يقطع الأشجار ليكسب رزقه. اقترب يوماً من الجوار الذي تقع فيه تلك الشجرة المحرَّمة، ووجد نفسه يفكّر محتاراً، ترى ماذا عسى يمكن أن تكون السبب وراء ضرورة الحفاظ على هذه الشجرة في حين تتساقط الأخريات. أخذ فأسه، ومن دون أن يدري شرع يقطع الشجرة ذاتها. لكن، يا للعجب! أخذت الشجرة تتزحزح بعيداً عنه كأن لها أقدام، أما ضرباته فلم تقطع سوى الهواء. ركب الحطاب حماره ولحق بالشجرة، غير أن الظلام حل ولم يستطع أن يدركها. ربط حماره إلى شجرةٍ أخرى، وتسلَّق إلى فروعها المورقة، واستقر بينها منتظراً طلوع الصباح.

نزل في اليوم التالي من الشجرة ليجد أن حماره لم يعد موجوداً، اللهم إلا عظامه. قال: «لا يهم، عليَّ أن أذهب على قدمي». ثم جرى بعد الشجرة وظل يطاردها طوال اليوم، لكنه أخفق بالإمساك بها. وفي اليوم الثالث، كان يستعد لمطاردتها فقابل فجأة ثعباناً وفيلاً يتعاركان. وقف يشاهد النزال حتى انتهى بابتلاع الثعبان للفيل بكامله ما عدا النابين اللذين علقا بحلقه. أبصر الوحشان الفتى وطلبا منه معاً مساعدتهما. وعده الفيل بكل شيء ممكن إن هو قتل الثعبان. وقال له الثعبان بدوره: «اقطع هذين النابين، وتلك مهمة أسهل ومكافأتها أكبر».

فكر أن تلك مهمة أسهل، فأخذ يضرب نابي الفيل بفأسه. كان الثعبان في غاية الامتنان لخدمته، فأخبره أن يذهب ليتسلم المكافأة.

وقف الثعبان عند نبعٍ في الطريق، وقال لرفيقه: «ابق هنا حتى أستحم، ولا تخف مهما حدث».

وما كاد الثعبان يدخل في الماء حتى هبَّت عاصفة، ولمع برقٌ وقصف رعدٌ، كأن نهاية العالم صارت وشيكة. إلا أن كل شيء هدأ بعد وقت قصير، وظهر الثعبان من الماء مرةً ثانية في صورة إنسان وواصلا رحلتهما.

سافرا فرحين يشربان القهوة ويدخنان الغليون، ويبذران البنفسج حتى صارا قريبين من البيت، فقال الثعبان الخرافي للفتى: «سنصل في الحال منزل أمي. عندما تفتح الباب، سأخاطبك بـ أخ، وأدعوك إلى الدخول. ستقدم لك القهوة، ولكن لا تقبلها، وسيوضع الطعام أمامك، ولكن لا تلمسه. وعند البوابة ستجد قطعةً صغيرة من مرآة، فاطلب من أمي أن تعطيك إياها».

وصلا إلى المنزل، وعندما طرق الثعبان الباب فتحت أمه الباب بنفسها. قال الثعبان: «أدخل، يا أخي».

سألت أمه: «من هو أخوك؟».

«واحد أنقذ حياتي». ثم أخبرها بالقصة التي حدثت مع الفيل.

دخلا المنزل، وقدمت المرأة القهوة والغليون للفتى، لكنه لم يقبلهما. قال: «أنا في عجلةٍ من أمري، ولا يمكنني المكوث طويلاً».

«استرح قليلاً، على الأقل، فنحن لا نسمح للضيف أن يذهب من دون أن يتناول شيئاً».

«لست في حاجة لشيء. لكن ثمة كسرةٍ من مرآةٍ عند البوابة، إن أنتِ أعطيتيني إياها، فسأقبلها».

لم تكن المرأة ترغب في إعطائه كسرة المرآة، لكن ابنها غضب لرفضها إعطائه شيئاً تافهاً كهذا وهو منقذ حياته، لهذا أعطته كسرة المرآة على غير رغبةٍ منها.

ارتحل الفتى ومعه كسرة المرآة، وفي الطريق نظر فيها وقلبها على جوانبها كلها متعجباً ما عسى تكون فائدتها له. وبينما كان يتلمسها بأصابعه، ظهر جنيّ تلامس شفته العلياء السماء، وتلامس السفلى الأرض. كاد الفتى أن يموت رعباً، لولا أن الشبح طمأنه وسأله:

«لبيك، يا مولاي السلطان! ما هو مطلبك؟».

بالكاد استطاع الفتى أن يجد الشجاعة لأن يطلب شيئاً يأكله. وفي لمح البصر كانت أشهى الأطباق موضوعةً بين يديه، أطباق لم يسبق له أن رآها. فعل الجنيّ ذلك واختفى.

تضاعف فضول الفتى بشأن كسرة المرآة هذه، فأخذها ثانية ونظر فيها. وسرعان ما ظهر الجنيّ أمامه، قائلاً: «أوامرك، يا مولاي السلطان!»

وفي تحيُّره وارتباكه، تلعثم متلفظاً بشيء عن قصر، ويا للدهشة! فها هوذا قصرٌ بديع ينتصب أمامه هو أعظم من القصر الذي يسكنه السلطان.

قال الفتى: «خذه!» فاختفى القصر على الفور.

صار الفتى الآن فخوراً بما ناله من مرآة مدهشة، ولم يفكر بشيء سوى بما عليه أن يتمناه مستقبلاً. تذكر أن للسلطان بنتاً جميلة، فنظر إلى المرآة: «مطلبك، يا مولاي السلطان!»

فطلب الفتى القصر البديع وابنة السلطان ذاتها. وما كاد يتلفَّظ بأمنيته حتى وجد نفسه في القصر وابنة السلطان جالسة بجواره. عانق أحدهما الآخر وقبَّل أحدهما الآخر وكانا سعيدين سعادة لا حدود لها.

في تلك الأثناء، أخبر السلطان باختفاء ابنته الغامض. فأمر بالبحث عنها في كل أرجاء الأرض، لكن البحث كان بلا طائل، إذ كان من المستحيل العثور عليها. عندئذٍ، قدمت عجوز ونصحت السلطان أن يصنع صندوقاً مغطى بالقصدير. ثم توضع به العجوز ويُرمى بها في البحر. ووعدت أن تعثر على الأميرة إما على هذا الجانب من المحيط أو على الجانب الآخر.

أعِدَّ الصندوق، ووضع فيه الطعام، ثم وضعت المرأة فيه وأغلق ورمي في البحر. وصل الصندوق بعد فترة إلى شاطئ المدينة التي كان فيها قصر الفتى وابنة السلطان.

أبصر بعض الصيادين الذين كانوا يقفون في الشاطئ الصندوق، فقذفوا بخطاطيفهم وحبالهم وسحبوا الصندوق إلى الشاطئ. ولما فتحوه قفزت العجوز خارجةً منه. ورداً على أسئلتهم عن المكان الذي أتت منه، قالت: «فليعمي الله عدوي! أنا لا أستحق هذه المعاملة».

بكت، فحسب كل الناس أنها عجوزٌ بائسة أسيئت معاملتها بقسوة. سألت: «أين هو حاكم هذه المدينة؟ لعله سيرأف بي ويؤويني في منزله».

دلَّها الحاضرون إلى طريق القصر وشجعوها أن تصدِّق أنها ستجد هناك العون.

وصلت إلى القصر وطرقت الباب، ونادت الأميرة من الأعلى سائلةً إياها عما تريد. تبينت العجوز صوت الأميرة، لكنها تظاهرت بكونها غريبة ورجتها أن تأخذها كخادمة في المنزل. ردَّت الأميرة: «زوجي سيعود إلى المنزل في المساء، فإلى ذلك الحين، ابقي هناك في الركن».

وعندما عاد السيد، أصدر أمراً بأن تؤخذ المرأة خادمة في المنزل. ومع أن المرأة بقيت أسابيع في القصر، لم تُر يوماً تطبخ أو تقوم بأي عمل من أي نوع، ومع ذلك فإن أشهى الأطباق وأدسمها وأغلاها كانت تقدَّم، تجرَّأت وسألت الأميرة عمّا إذا كانت تشعر بالوحدة، واقترحت قائلةً: «بعد إذنك، سوف أقضي بعض الوقت بصحبتك، سوف يكون أفضل حتماً».

ردت الأميرة: «سوف أتحدث مع زوجي بهذا الشأن».

لم يعترض الشاب، فأخذت المرأة تقضي وقتاً طويلاً في جناح الأميرة الخاص. وذات يوم، تجرأت أن تسأل الأميرة من أين يأتي الطعام وأين هم الخدم. ولما كانت الأميرة لا تدري شيئاً عن وجود المرآة لم تدر ما تقول.

فقالت المرأة: «اسألي زوجك».

وعندما جاء، داهنته الأميرة حتى أراها كنزه.

غير أن هذا لم يكن كافياً بأي حال، فنصحت العجوز سيدتها بعد يومين أو ثلاثة أن تسأل زوجها أن يعطيها المرآة كي تسلّي نفسها بها أثناء غيابه. ولم يرفض لها الزوج طلباً، فأعطاها المرآة.

عندها حانت فرصة العجوز. بعد أن عرفت أين تخبئ الأميرة المرآة، انسلت، ونظرت فيها. ولما ظهر الجنيّ، وسأل: «ما مرادك؟» طلبت منه: «خذني أنا والأميرة إلى أبيها».

كما طلبت منه أيضاً أن يحرق القصر. ولما عاد ابن الحطاب في المساء لم يجد شيئاً سوى قطّتهُ تدفئ نفسها بالرماد المدخِن من منزله الجميل. وحدث أن أبصر بعض فضلات الطعام التي رمتها الأميرة، وضع الفضلات في منديله وتقدم يبحث عن زوجته حتى لو اقتضاه ذلك أن يذهب إلى أطراف الأرض كي يعثر عليها.

ترحَّل طويلاً حتى وصل إلى المدينة التي يسكن فيها السلطان، حموه. دخل إلى مطبخ القصر وتوسل إلى الطباخ أن يوظفه، فتم له ذلك من باب الإشفاق عليه لما كان عليه من حال بائسة. وبعد بضعة أيام علم من رفاقه الخدم أن ابنة السلطان قد عادت إلى الوطن بعد غيابها الغامض.

وفي أحد الأيام، مرض الطباخ، وعرض الحطاب الشاب أن يحل محله. قَبِل الطباخ العرض بامتنان، وشرح له واجباته. تم كل شيء كما ينبغي ما عدا حين أرسل الطباخ المؤقت الأطباق، ووضع فضلات الطعام التي التقطها من بين ركام منزله المحترق،

في طبق الأميرة. ولما رأتها تأكدت أن زوجها موجودٌ في مكان قريب منها. أرسلت في طلب الطباخ وسألت عمَّن كان معه في المطبخ يساعده. أنكر في البداية، لكنه اعترف أخيراً أن شاباً كان يساعده. أسرعت الأميرة إلى أبيها وأخبرته أن في المطبخ خادماً شاباً يعد قهوةً في غاية الروعة لدرجة أنها تود أن تجعله معدَّ قهوتها الخاص. ومنذ ذلك الحين كان يعد القهوة ويأخذها شخصياً إلى الأميرة. وهكذا اجتمعا معاً مرة ثانية، وأخبرت الأميرة زوجها السبب فيما حدث لهما من حظٍّ سيء. عزما على أن يستعيدا المرآة بأفضل السبل.

كان الشاب يزور الأميرة دائماً ويبقى معها لأوقات طويلة حتى شكَّت العجوز. باختصار، نظرت العجوز إلى المرآة وأعادته إلى حطام منزله ورماده. ووجد الشاب قطته لا تزال هناك إذ حافظت على بقائها باصطياد الفئران وأكلها. كانت قد التهمت جيشاً من الفئران حتى لم يتبقَّ لسلطان الفئران ما يكفي من الجنود للذود عن حماه. كان ملك الفئران قلقاً بهذا الخصوص، لكن أياً من الفئران لم يتجرَّأ على الاقتراب من القطة.

وذات يوم أبصر الفتى، فتوسل إليه أن يساعده في حماية مملكته من الخراب. ردَّ عليه الفتى: «لو لا أنني أنا نفسي أرزح

تحت الحزن، لكنت سعيداً أن أقدِّم لك يد العون». سأل ملك الفئران: «ما الذي يكدِّرك؟».

أخبره ابن الحطاب بحكاية المرآة التي سرقتها منه العجوز. قال سلطان الفئران مؤكداً: «هذه مسألةٌ يمكن إصلاحها دون أدنى صعوبة».

ثم استدعى كل فئرانه وسأل من منهم يقيم في القصر، وعمّا إذا كانوا يعرفون أين هي المرآة مخبَّأة. تقدَّم إليه فأرٌ أعرج، ثم انحنى وقبَّل الأرض أمام ملكه، وقال إنه قد رأى المرآة التي تضعها العجوز تحت وسادتها كل ليلة.

أمر السلطان أن يحصل عليها من دون تأخير.

عرض اثنان من رفاقه أن يذهبا معه، ولما كان عجوز يرتعش حملاه على ظهريهما إلى القصر. وصلوا ليلاً، وكانت المرأة قد فرغت من تناول عشاءٍ دسم.

قال الفأر الأعرج العجوز وهم يدخلون الغرفة: «لقد وصلنا في الوقت المناسب لتناول العشاء».

أكلوا ملءَ بطونهم، ثم انتظروا الفرصة المؤاتية لإنجاز مهمتهم. وحين أوت المرأة إلى السرير ودغدغ أنف المرأة بذيله حتى راحت تعطس بعنف أوشك معه رأسها أن ينفصل عن بدنها. وبينما كانت تعطس، سحب الفأران الآخران المرآة من تحت الوسادة، وبعدها حملا الفأر الأعرج العجوز وهبُّوا مسرعين في طريق العودة.

سرَّ الفتى لاستعادته المرآة البديعة، فأخذ قطته حتى لا تؤذي أصدقاءه الفئران، ثم انسحب بعيداً عن أطلال منزله.

أخذ المرآة ونظر فيها، فظهر في التو الجني واقفاً أمامه: «أوامرك، يا مولاي السلطان؟».

طلب الفتى رداءً من القماش المذهَّب وجيشاً جراراً. استدار في اللحظة التالية فوجد الملابس في متناول يده، فارتداها. أمامه كان جوادٌ مطهمٌ يثب على قائمتيه الخلفيتين، ولما امتطاه لحق به جيشٌ جرار. وهكذا دخل المدينة مسقط رأسه فاتحاً مظفَّراً. اقترب من بوابات القصر، وشكل جنوده طوقاً على القصر. ولما أبصر السلطان الجيش الغازي ارتجف خائفاً على حياته وعرشه.

اقترب الفتى من الحاكم، وأكد له أنَّ ما من داع للخوف إن هو وافق على تزويجه ابنته. سرَّ السلطان وغمرته الفرحة وودَّ بقوةٍ ليس فقط أن يزوجه ابنته بل أيضاً أن يهبه المملكة. سحب الجنيّ العجوز، وعاش المحبان بسعادة دائمة لا تفارقهما المرآة التي برهنت على أنها منقذتهما عند كل حاجة أو ملمَّة.

قصر الياقوتة الصغيرة

في قديم الزمان، عاش سلطان، وكان له ولدٌ ذو جمال فتان. كلُّ من رآه أصابه الولهان من حسن الأمير وجماله. وأما أبوه فلم يكن يطيق البعاد عن ابنه ما يزيد على نصف ساعةٍ من الزمان.

مهما يكن، فقد وقع السلطان مريضاً ثم مات بالرغم من اهتمام الأطباء البارعين وكفاءة الحكماء في مملكته. انهال النوح والبكاء في السرايا كله، لكن ذلك لم يكن بذي نفع في شيء. بني ضريح ضخم ضم رفات الحاكم المتوفى. بعد ذلك نصِّب ولي العهد الذي بلغ الخامسة والعشرين من عمره حاكماً على البلاد خلفاً لأبيه.

مرت السنون، وذات يوم وجد نفسه نافراً ضجراً متعكر المزاج فقرر أن يخرج باحثاً عن تغيير الهواء بالتجوال مع وزيره. ومن دون أن يثقلا على نفسيهما بمزيد من المتاع، امتطيا جواديهما، وارتحلا دون توقف طوال اليوم، ثم واصلا سيرهما ووصلا نبعاً في وسط سهلٍ واسع. كان ماء النبع بفقاعاته يتسرب

بين الأشجار وكانت المروج من حوله تفوح بروائح الأزهار العطرة. كان المكان أشبه بحديقة بهيجة ضاحكة، وكان ماء النبع البارد الزلال منعشاً يبعث النشاط. عندما رأى السلطان هذا بعد مدة من الحزن الدائم على أبيه المتوفى، قال لوزيره: «أنا مفتون بهذا المكان، دعنا نجلس هنا حتى أغمس قدمي في هذا الجدول البارد ثم نستريح لبعض الوقت».

أمل الوزير أن جمال هذه البقعة سيلطِّف من حزن سيده. جلسا وشربا القهوة وأشعلا غليونيهما الطويلين. وأثناء الليل سمعا تغريد البلابل، وهكذا وجدا البقعة مناسبة حتى عزَّ عليهما فراقها. قال السلطان الشاب: «لابدّ من أن أتوقف هنا لبضعة أيام أخرى. لأن هذا المكان هو بالتأكيد لا نظير له في العالم أجمع».

وافقه الوزير على أنه فعلاً مكانٌ سار، ومع هذا، فكون المكان في القفر، فإنهما لم يستطيعا أن يقضيا الليل هناك. قال السلطان: «حالياً، سنقضي الليلة فقط هنا. لكنا سنعود بعد أيام قليلة».

بعدها جلس السلطان قليلاً، نهض وأخذ يتمشى جيئةً وذهاباً، ثم قال: «إن شاء الله، سأبني هنا قصراً صغير حيث يمكنني أن أقضي فيه أيام الصيف».

وبينما هما يتحدثان، أبصرا على البعد شيخاً يقترب نحوهما وبيده إبريق. وصل وملأ إبريقه من ماء النبع. تصاعد حب استطلاع السلطان فابتدر الشيخ: «أيها الأب، من أنت ومن أين قدمت؟».

«على بعد نصف ساعة من هنا يوجد قصرٌ تملكه فتاة تدعى الياقوتة الصغيرة. وهذا النبع هو أيضاً ملكها. إنها تجيء إلى هنا لتقضي ثلاثة أيام في السنة يحرسها أربعون عفريتاً. كيف تجرأتما أن تجيئا إلى هنا؟ إني أنصحكما أن ترحلا سريعاً قبل أن يراكما أحد، وإلا حكم عليكما بالإعدام».

وعلى الرغم من هذا الإنذار، إلا أن فضول السلطان تزايد، فسأل الشيخ عمّن تكون هذه الفتاة التي تعيش في مكان كهذا ويحرسها أربعون عفريتاً. تبسّم الرجل، وأعاد تحذيره قائلاً: «أنا آسف لحالكما، لكن عليكما أن تسرعا بالابتعاد عن هذا المكان».

لكن السلطان لم يستسلم، ولاحظ الشيخ جماله اللافت. لا ريب ألا أحد يضاهي جماله في العالم أجمع. إن جماله كان أشبه بجمال ياقوتتهم – كما يساوي نصف التفاحة نصفها الآخر. لذلك، قال الآن: «أيها الفتى، على بعد مسافة ساعة من

هنا خلف جبلٍ شاق تقيم أم العفاريت الذين يحرسون الفتاة. اذهب إلى هناك، واطلب حمايتها، واسألها كيف يمكنك أن ترى الياقوتة».

قرر السلطان أن يعمل بنصيحة الشيخ، فاتجه مع وزيره راحلاً نحو الجهة التي أشار إليها العجوز. عبرا الجبل، فأبصرا منظراً ينخلع له قلب أشجع الناس. امرأةٌ عفريتة، طويلة كالمنارة وقد جلست في وادٍ واضعةً قدماً على الجبل ومدَّت الأخرى أمامها. كانت تلوك قطعة من الزبيب بحجم البيت، وكان صوت المضغ يُسمع على بعد ميلين. وعندما كانت تتنفس، كانت تحدث زوبعة من الغبار تثير الرمال والتراب، وكان طول ذراعيها يصل إلى ثماني ياردات. ذعر الرجلان وبالكاد استطاعا تحيتها بـ «أيتها الأم»، ثم عانقاها كما نصحهما الشيخ. تغلبا على الأمر البطولي، إذن، وأجابتهما العجوز بقولها: «كنت سحقتكما كذبابتين لولا أنكما عانقتماني وناديتماني بـ أيتها الأم. من الذي أرسلكما إلى هنا؟».

أجاب الأمير وهو يرتعد من قمة رأسه إلى أخمص قدميه: «أيتها الأم، لقد قابلنا عند نبع شيخاً هو أحد خدم الياقوتة الصغيرة، وقد حذرنا من المجيء إلى النبع، ونصحنا أن نأتي

إليك إن أردنا النجاة من الموت. أيتها الأم، كيف تبدو الياقوتة الصغيرة؟ فمنذ أن سمعت اسمها لم أعد أجد إلى السكينة سبيلاً، ولابدّ لي من أن أراها». ردّت العجوز: «الياقوتة الصغيرة هي فائقة الجمال، ولا يوجد لها نظير على الأرض. كثيرون حاولوا رؤيتها، لكن ما من أحد ظفر برؤيتها، مع أنهم كلهم تقريبا ماتوا من أجلها. إنّ لي أربعين ابناً يحرسون قصرها ليل نهار. إنهم لا يسمحون لطيرٍ أن يقترب منها. اصرف النظر عن فكرتك، وإلا فإنك تسعى إلى حتفك. وهذا سيكون مدعاة للأسف».

غير أن السلطان ناشدها: «عدينا بمساعدتنا أيتها الأم. وسأرد لك الجميل».

ظل يتوسل إليها ويتضرّع حتى رأفت الأم– العفريتة في نهاية المطاف، فحوّلت الوزير إلى مكنسة وحوّلت السلطان إلى علبة تبغ ووضعتهما في حزامها. ثم تقدمت إلى الأمام بخطوات ثلاث، فكانت إلى جوار القصر. أخذت من جيبها حفنة رملٍ نثرتها على الأرض، ثم قالت للسلطان المتحوّل: «لا تخش شيئاً. العفاريت كلهم الآن نائمون. امض مباشرة إلى الحجرة التي تنام فيها الفتاة الآن. لا تفعل أكثر من أن تسحب خاتمها من إصبعها وتأتي به إليّ».

تشجع السلطان ودخل الحجرة حيث تنام الفتاة. يا للمشهد الذي وقعت عليه عيناه! أيّاً كانت الكلمات المنتقاة فإنها لا تقدر على وصفها بشكل صحيح. كان ذراعاها يلمعان كالفيروز، وكانت وهي ترقد في سريرها تبدو حقاً أشبه بحورية من الفردوس. انبهرت عيناه بمنظرها، وبدا كأنه فقد عقله. مهما يكن، فقد تذكر كلمات الأم–العفريتة، فسحب الخاتم من إصبعها وأسرع عائداً إلى العملاقة. التقطت السلطان، وفي خطواتٍ ثلاث عادا إلى منزلها، حيث حوّلته إلى إبريق ووضعته إلى جوارها. وفي الصباح التالي، استيقظت الفتاة ولاحظت فقدان الخاتم من إصبعها. قالت متحيرةً: «أين وضعته؟ لعله قد سقط في مكانٍ ما». بحثت في القصر وعبثاً فتشته، وبحثت عنه في الحديقة دون جدوى. بعدئذٍ، نادت العفاريت وسألتهم، لكنهم لم يعرفوا شيئاً. غضبت الفتاة وراحت توبخهم، فانطلقوا في أربعين اتجاهاً باحثين عن الخاتم المفقود، غير أنهم فشلوا في العثور عليه. بعد ذلك ذهبوا إلى أمهم وسألوها عمّا إذا كانت تعرف أي شيء عنه، لكن أمهم أجابتهم: «لقد فقدتم عقولكم؟ هل يستطيع أحدٌ أن يدخل القصر طالما كنتم هنا؟ من يدري؟ من المحتمل أن هذه الفتاة الطائشة قد أسقطته في مكانٍ ما».

ثم قامت بطردهم.

في مساء اليوم التالي، ترجى السلطان الشاب الأم–العفريتة أن تدعه يرى الفتاة مرة ثانية. أخذته المرأة إلى القصر، ونثرت الرمل كما فعلت من قبل وقالت: «اذهب الآن إلى الفتاة، لكن حذار من فعل أي شيء سوى ما أخبرك به. خذ أحد أقراطها وعد سريعاً».

مضى السلطان مباشرة إلى حجرة الأميرة، وأخذ أحد أقراطها من أذنها، وعلى الرغم من أنه كان من العسير عليه أن يغادر الحجرة، لكنه جرى عائداً إلى الأم–العفريتة. حوّلته مرةً ثانية إلى إبريق وعادت إلى البيت ووضعت الإبريق على أرضية الغرفة.

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، لاحظت الياقوتة الآن أن أحد أقراطها ضائع. استعر غضبها إزاء هذه الانتهاك الثاني فأرسلت إلى الشيخ الذي كان يعرف جيداً بكل ما حدث، لكنه أجاب: «يا بنيتي، ما من طير يجيء إلى هنا، وما من مسافرين عبروا، ولا أفعى زحفت. أن تكوني قد سُرقت، فهذا أمرٌ مستحيل، لعل الخاتم قد سقط في العشب وأنت تمشين. سوف أبحث عنه وإن أنا وجدت الخاتم أو القرط سآتي بهما إليك».

حاول بهذه الكلمات أن يهدأها، لكنها لم ترض بسهولة، فقالت: «هذه ليست سوى كلمات. من المؤكد أن أحداً قد دخل غرفتي وسرق مجوهراتي».

عندئذٍ، أفهمت العفاريت أنه إن حدث شيء غير هذا، فإنها ستعرف ما عليها أن تفعله. وظلت طوال اليوم غاضبة حانقة إلى حد بعيد.

وتحت إلحاح السلطان ومناشداته، أخذته الأم-العفريتة مرةً ثالثة إلى القصر، لكنها منعته أن يفعل شيئاً أكثر من تقبيل خدي الفتاة والعودة إليها سريعاً. مفعماً بالبهجة، دخل الفتى إلى الحجرة، لكن الفتاة بسبب قلقها وتوترها لم تستطع أن تنام، وكانت تحدِّق فيما حولها. وما إن وقعت عيناها على الشاب الوسيم، حتى غشيتها النشوة. ظاناً أنها نائمة، قبلها الشاب على خديها، وكان على وشك أن يرحل حين أمسكت به من ذراعيه قائلةً: «يا حبيب القلب، كيف وصلت إلى هنا. لا تخف، أنا ملكك أنت. لقد وجدت الآن ما كنت أبحث عنه لأمدٍ طويل».

لم يستطع السلطان أن يصدق ما أصابه من حظ، ومبهوراً من جمال الفتاة، وقع مغشياً عليه. أعادته إلى وعيه بماء الورد، وتحدثا معاً حتى انبلج ضوء الصباح.

عندئذٍ قالت الفتاة: «من الآن فصاعدا أنا لك، وأنت لي. لن أنفصل عنك مع أني لا أستطيع مغادرة هذا المكان. فإن كنت تحبني، فابق هنا».

أجاب السلطان: «أوه، يا سلطانتي، أنا ملكك. عندما سافرت ذات يوم وجدت نبعاً في هذه المنطقة وقررت أن ابني سكناً صيفياً قريباً منه».

ثم قصَّ عليها كل مغامراته. قالت الفتاة: «إذا كان الأمر كذلك، فلنذهب إلى عاصمة مملكتك لنتزوج هناك، وبعد ذلك نقسِّم أيامنا بين بلادك وبلادي».

نادت العفاريت، وذهبوا جميعاً إلى أمهم، وقالت الفتاة: «أمي، لقد عثرنا معاً أحدنا على الآخر. وسوف نذهب إلى هناك. فليباركك الله ويحميك، يا أمي!»

أجابت الأم: «اذهبا بخير وسلام، لكن أرسلا لي أربعين خروفاً كل يوم، وإلا فلن تجدا خيراً».

قال السلطان: «نحن مدينان لك بالكثير وسأرسل لك الأربعين خروفاً كل يوم، وأولادك سيواصلون حراسة هذا المكان».

وهكذا ارتحلا ووصلا في الوقت المعلوم إلى عاصمة السلطان. واستحال السرايا كله إلى حفل ترحيب بعودة السلطان وفتاته الياقوتة الصغيرة استدعي الوزير الأول وتمت الخطوبة. وأعقب ذلك أربعون يوماً وأربعون ليلةً من الاحتفالات والولائم والأفراح.

عاشا في وئام تام ونعيم مقيم طوال حياتهما المديدة حيناً في مملكة السلطان، وحيناً آخر في قصر الياقوتة الصغيرة، ولم ينسيا أبداً أن يرسلا يومياً أربعين خروفاً للأم-العفريتة.

الأمير أحمد

عاش في الزمن الماضي أحد السلاطين وكان له ولدٌ واحد. غضب السلطان في أحد الأيام من ابنه، فأمر بقطع رأسه. حاول الوزير أن يثني السلطان عن قراره القاسي. فقال له: «يا مولاي السلطان إن أربعين سنة هي مثل يومٍ واحد، وأنت ليس لك سوى ابن واحد، فلا تقتله وإلا ندمت عليه من كل بد».

اقتنع الحاكم ورأى أن يرسله إلى المنفى. لكن أمه قالت للسلطان: «إن أُبعد ابني الوحيد عني، فلن أبقى هنا».

وهكذا غادر الابن وأمه القصر معاً.

وبعد تجوال طويل وصلا إلى بحيرة وقررا أن يستريحا قليلاً. وبينما يتمشى ذات يومٍ على ضفة البحيرة تعثَّرت قدم الأمير أحمد بأحد الأحجار فأخذ الحجر وانبهر من روعته. وضع الحجر في جيبه، وبعد ذلك استأنفت الأم وابنها رحلتهما حتى وصلا إلى إحدى المدن حيث استأجرا منزلاً وبدآ تنظيفه وتجهيزه.

كان السلطان الذي يقيم في هذه المدينة قد أصدر مرسوماً يحرِّم فيه إضاءة الشموع والمصابيح أو أي نوع من الإضاءة في الليل، لكن الحجر الذي وجده الفتى ووضعه على الطاولة في الحجرة لم يكن يضيء المنزل فقط بل المدينة كلها. نصحت المرأة ابنها أن يخفي الحجر، لأنه إن اكتشف فسيصادر منه وربما فتح عليهم هذا باب المتاعب. لكن الأمير لم يسمع نصيحة أمه محتجاً بأنه لم يسرج شمعة ولا مصباحاً ولا انتهك المرسوم السلطاني.

وفي إحدى الليالي، كان السلطان ينظر من نافذة قصره، فأبصر الضوء المشعّ الذي كان يصدر عن الحجر المتلألئ. استدعى وزيره واستفسر عمّا يمكن أن يكون ذلك الضوء، وما الذي يعنيه. كلُّ ما استطاع الوزير أن يخبره هو أن ذلك الضوء صادرٌ من أحد المنازل. وفي الحال أرسل الخدم للتحقق من الأمر. طرقوا الباب وأخبروا الفتى أن يذهب معهم إلى حضرة السلطان. استجاب الفتى وذهب إلى القصر، فسأله الملك كيف تجرّأ على انتهاك المرسوم الملكي. استسمح الأمير أحمد السلطان، وقال إنه لم يفعل شيئاً يتعارض مع مرسوم السلطان، فالضوء لا يصدر عن شمعةٍ ولا عن مصباح، بل يصدر عن حجر حدث أن تعثّر به فالتقطه واحتفظ به. أمره السلطان قائلاً: «أحضر ذلك الحجر».

عاد الفتى إلى منزله، وأخذ الحجر إلى القصر وسلمه إلى السلطان، سعيداً بأن الخطر قد انتهى.

أرى السلطان الحجر إلى وزيره الذي قال: «مولاي السلطان، هذه ماسة، اطلب من الرجل أن يحضر منها حقيبة مليئة، لأنه حيثما وجدت واحدة لابدّ من أن هناك المزيد».

وفي الحال استدعى السلطان الفتى مرة ثانية وطلب منه أن يأتي بحقيبة ملأى من الماس. سأل الفتى: «ومن أين لي أن أحصل عليها؟».

رد السلطان: «هذا شأنك، وإن أنت أخفقت أن تفعل خلال أربعين يوماً، قُطِعَ رأسك».

عاد الأمير الشاب إلى بيته محزوناً حَرِجاً وذهب إلى أمه وأخبرها بالمهمة التي كُلِّف بها. قالت له أمه وقد انفجرت باكية: «ألم أقل لك إن هذا الحجر سيجلب لنا النكد والمتاعب؟ أين يمكننا أن نحصل على هذا القدر من الماس؟».

بقيا في حالٍ من اليأس أياماً، وأخيراً قالت المرأة فجأة وبإصرار: «لن ينفع البكاء، لابدّ من فعل شيء. اذهب إلى المكان الذي وجدت فيه الحجر، وانظر لعلك تجد أحجاراً أخرى غيره».

امتطى الفتى حصانه وانطلق بسرعة إلى تلك البقعة. وبينما هو يبحث عن الأحجار لاح أمامه جبل هائل. قاده حب الاستطلاع ليجتاز ذلك الجبل، وفي الجانب الآخر منه أبصر سرايا. اقترب منها فوجد الصرح يحرسه تنِّينٌ بسبعة رؤوس. قال الفتى يحدث نفسه: «ما الذي جئت أبحث وما الذي عثرت عليه؟»، وفي غضبه، استل سيفه وضرب التنين بكل قوته فأسقط ستةً من رؤوسه بضربة واحدة. تحداه التنين: «اضرب مجدّداً إن كنت رجلاً».

ردَّ الفتى: «لست أنا من يفعل». وتركه لمصيره.

وفجأةً سمع ضجةً صاخبةً تصدر عن السرايا، فأمسك بالسيف: «لقد قتلت عدوي، وأنت الآن تتخلّى عني!». عاد إلى البقعة، ودخل إلى القصر، فأبصر فتاة ذات جمال ساحر، قالت له: «أيها الفتى، لقد انقضت عشر سنين منذ أُخذت أسيرة بواسطة التنين، أما الآن فأنا ملكك أنت، خذني حيثما أردت».

أخبرها الفتى أنه في الوقت الحاضر مجبرٌ على الاهتمام بشؤون أخرى، لكن الفتاة ناشدته ألاّ يهجرها، فأركبها أمامه على ظهر حصانه وعادا إلى أم الأمير.

لاحظت الفتاة حزنه وكربه، فأقدمت ذات يوم على الاستفسار عما يثقل قلبه. ردَّ عليها: «لا تسأليني، الله وحده يمكنه مساعدتي».

لكنها لم تتركه حتى أخبرها فقالت له: «من المؤسف أنك محزونٌ كل هذا الحزن من أجل شيءٍ تافه كهذا، أنا سأساعدك. لكني الآن في غاية العطش، ائتني بإبريقٍ من ماء النبع، ثم دعني آخذ جرعةً كبيرة».

فكر الفتى في سريرته أنه قد جاء بها إلى البيت لتكون مصدر إغاظة فحسب. إنها ضيفته، على أي حال، وعلى الرغم من أنه كان ممتعضاً فقد أحضر لها الماء من النبع وناولها. وبدلاً من أن تشربه، أخبرت الفتى أن يرشرشها بالماء من الرأس إلى القدم، ففعل، ويا للدهشة! لقد تساقط الماء منها ماسات مدهشة. فقات له الفتاة بفرح: «الآن، اجمع الماسات وضعها في حقيبةٍ وخذها إلى السلطان».

وقد فعل.

وبعد أن استأذن الأمير أحمد بالمغادرة، نادى السلطان الوزير وأراه الماسات. قال الوزير بفخر: «أرأيت الآن؟ لقد كنتُ على

صواب. اطلب منه في المرة القادمة حقيبةً من اللؤلؤ».

سأل السلطان: «ومن أين يمكنه الحصول عليها؟».

ردَّ الوزير: «من المكان نفسه الذي جلب منه الماس. افعل ما أنصحك به».

وهكذا استدعى السلطان الفتى وأمره أن يحضر حقيبة مملوءة باللؤلؤ.

«ومن أين يمكنني الحصول على اللؤلؤ؟».

«هذا شأنك. سأمنحك مهلة أربعين يوماً، وإن لم تفعل دفعت حياتك».عاد الفتى إلى البيت مطرق الرأس مثقل الصدر. حيته الفتاة قائلة: «ما الخطب؟».

فأخبرها بالمشكلة الجديدة. فردَّت:

«اذهب إلى خلف السرايا حيث قابلتني أول مرة، وستجد قصراً آخر فيه ما تبحث عنه».

امتطى حصانه وارتحل إلى حيث أشارت عليه. ووصل إلى السرايا وذبح تنيناً آخر. ودخل إلى القصر وتلفَّت حوله باحثاً، فأبصر فتاةً أجمل من الأولى. أخذها معه أيضاً إلى البيت، وهناك

سألته أن يرش الماء على جسدها بالماء فتساقط لؤلؤاً برّاقاً. جمع الفتى اللؤلؤ كله وذهب به إلى السلطان.

حين رأى الوزير الجشع اللؤلؤ ازداد نهمه فنصح السلطان أن يطلب من الفتى حقيبةً من الياقوت. أخبر الأمير الموجع المرهق الفتاة عن المهمة الثالثة.

قالت له: «والآن، يوجد خلف السرايا الثاني سرايا ثالثة. وهناك ستجد بغيتك».

ركب الفتى حصانه طائعاً وارتحل إلى السرايا الثالثة. وحالفه الحظ مرة أخرى، فوجد القصر الثالث، وذبح تنّيناً آخر، ودخل واكتشف فتاةً ثالثة أجمل من الفتاتين السابقتين. أركبها أمامه على ظهر حصانه وعاد بها إلى منزل أمه. وهناك رشها بماء النبع فتساقط الياقوت ، وجمعه الأمير وحمله إلى السلطان.

ولما أبصر الوزير ما جلبه الفتى، قال للملك: «أرأيت، يا مولاي؟ أطلب منه هذه المرة قصراً من الماس واللؤلؤ والمرجان، مبنياً وسط البحر».

شك السلطان فيما إذا كان الشاب حقاً يستطيع أن يلبي مثل هذا الطلب الصعب، ومع هذا أخبره بالرغبة السلطانية، وأمهله

أربعين يوماً ليحقق ما طُلب منه. ندم الشاب ندماً عميقاً على قدومه إلى هذه المدينة وعاد إلى البيت بسيماء يغلفها الحزن.

عندما حيته الفتيات، وأبصرت سحنته الحزينة، سألن عن السبب، فأخبرهن الفتى. عندئذٍ قالت الفتاة الكبرى: «اذهب إلى مكان كذا وكذا حيث يوجد جبل، اصعد الجبل، ومن قمته اصرخ بكل قوتك منادياً: «حاجي بابا!» وعندما تسمع ردًّاً، قل: «ابنتك الكبرى تريد قصرها الأصغر». وإن لم تسمع ردًّاً فتلطَّف، واحذر أن تصرخ مرةً ثانية، وإلا فقدت حياتك».

امتطى حصانه ومضى مباشرة صوب المكان المحدد. وصل إلى قمة الجبل، وصرخ بأعلى صوته: «حاجي بابا!» وبدا أن الأرض أخذت ترتعش في الأسفل، وجاءه صوت يقول: «ما الذي تبحث عنه هنا؟».

ردَّ الشاب: «ابنتك الكبرى تريد قصرها الأصغر».

ثم حدثت رعشة أخرى في باطن الأرض، وقال صوتٌ كئيبٌ غائر: «مطلبها لُبِّيَ قبل أن تتفوَّه سائلة».

وفي الحال، عاد الأمير الشاب إذ لم يتبقَّ ما ينتظره.

حين استيقظ السلطان في صباح اليوم التالي وأطلّ من نافذته، انبهرت عيناه بما رآه، فاضطر إلى إغماضهما متسائلاً: «ما هذا؟» ثم فرك عينيه وصفق بيديه مستدعياً وزيره، سأل: «ماذا حدث لعيني؟ ما عدت أستطيع النظر إلى الخارج من دون أن ترفًا؟» ردَّ الوزير: «إنه قصر الأحجار الكريمة مبني وسط البحر، هو الذي يبهر عينيك، يا مولاي السلطان».

ولما سمع السلطان هذا، لم يعد يطيق الصبر، فذهب مع كل وزرائه وولاته وحكامه ليتفحصوا آخر ممتلكاته.

وبينما البلاط كله مشغولٌ بتفحص القصر، نصحت الفتاة الشاب أن يذهب إلى الجبل ويطلب أن يُسترجع القصر. فأسرع يصعد الجبل ويصرخ: «خذ القصر إليك!» فاهتزت الأرض في الأسفل، وجـاءه الصوت الكئيب الغائر نفسه: «لقد استعدناه!».

وفي طريق العودة رأى القصر وقد اختفى من مكانه، وعلم أن السلطان وكل رجال البلاط والولاة والحكام قد غرقوا في البحر جميعاً. حينها قالت الفتيات: «هذه المدينة لم تعد صالحة لنا، هيا بنا نغادر، يا أميري. وهكذا ارتحل الأمير أحمد وأمه مع الفتيات الثلاث عائدين إلى موطنهم الأصلي.

وفي طريقهم قابلوا عفريتاً أعرج. كان الشاب على وشك أن يجهز عليه في الحال، لولا أن العفريت توسل إليه أن يبقي على حياته، مشيراً إلى أن الفتى قد يجده ذا نفع ما. ولما دعمت الفتيات توسل العفريت، أبقى الأمير عليه وانضم إليهم.

وعندما وصلوا مكاناً أبصروا منه العاصمة، جلسوا ليستريحوا، واستخدمت الفتاة الكبرى مهارتها السحرية وخلقت قصراً في المكان أعظم من أي قصر رأوه.

صادف أن السلطان أبا الأمير أحمد، كان ينظر من النافذة فوقعت عيناه على القصر البديع، فاستدعى وزيره وسأله عنه. أرسل الخدم ليستفسروا، فعادوا بالأخبار عن أن ذلك هو قصر بديع يقطنه الأمير أحمد الذي كان ابن السلطان. ولما سمع السلطان بذلك، ذهب هو نفسه إلى القصر. استقبله ابنه باحترام بالغ وسعادة فائقة وأهداه الفتيات الثلاث اللاتي سحرنه بجمالهن الفاتن، ليأخذهن معه إلى قصره.

ولما عاد السلطان إلى قصره قال لوزيره: «فليعدم الأمير أحمد».

حاول الوزير أن يثني السلطان عن قراره، وذكره أنه ذات مرة نفى ابنه في حالة غضب ثم سأل: «من يدري مدى ما تعرَّض له من المعاناة!».

إلا أن كلّ توسلات الوزير ومناشداته لم تجد نفعاً، وأصرَّ على إعدام ابنه. حينئذٍ قال الوزير متنهِّداً: «حسناً، إن لم يكن من ذلك بد، ادعه إلى القصر ثم سمِّم طعامه».

في اليوم التالي، استلم الأمير دعوةً للعشاء في قصر أبيه، وبينما كان يغادر قصره، أخذت الفتاة خاتماً من إصبعها وأعطته له، قائلةً: «حين تكون في القصر، المس بهذا الخاتم أيَّ طعام يوضع أمامك».

وضع الخاتم في إصبعه، ومضى في طريقه. تحدَّث مع أبيه لبعض الوقت، وبعدها أحضر الطعام. كل الأطباق المخصصة للأمير كانت مسمومة، ومن دون أن يلحظه أحد لمس الأطباق بخاتمه قبل الأكل منها، فلم يصبه أيُّ أذى. نظِّفت المائدة، وطلب الأمير الأذن بالمغادرة. ولما رأى السلطان أن ابنه لم يصب بأذى، استدعى الوزير وسأله عما يجب فعله الآن. نصحه الوزير أن يدعو ابنه للعبة نرد معه، ويوافق الخاسر على أن يربط بالحبال، ثم قال: «إن خسر الأمير ربطته وأمرت بقتله».

وهكذا، استدعي الأمير مرةً ثانية إلى قصر أبيه. وبعد تناول الطعام، قال السلطان: «تعال يا بني، دعنا نلعب لعبة نرد، والخاسر يخضع لأمر الفائز».

لعبا وخسر السلطان. لكن الأمير تخلى عن الرهن، من دون أن يشك بأي نيةٍ سيئة من جانب أبيه، واستأنفا اللعب. وللمرة الثانية خسر السلطان، وتخلى الأمير كذلك عن الرهن باحترام عميق وطلب من أبيه أن يواصل اللعب، وسمح للسلطان - عن قصد - أن يفوز. عندئذٍ قال السلطان لابنه: «لسوف أربطك الآن بناءً على الاتفاق».

لم يعترض الأمير، فربطه أبوه بحبال قوية، وبعد ذلك أرسل في طلب الجلاد. خلال ذلك، تفلَّت الأمير بشدَّةٍ قوية من حباله وحرَّر نفسه. لما رأى السلطان هذا، تظاهر أن الأمر كله كان مجرد مزحة لأنه أراد أن يتأكد إن كان ابنه يتمتع بالرجولة الكافية. قال الأمير: «في هذه الحالة اربطني بسلاسل الحديد».

وربط بسلاسل الحديد فحطَّمها أيضا بحركةٍ واحدة. غاضباً في سرِّه، حاول السلطان ابتكار وسيلة يحطِّم بها ابنه. ابتسم ظاهرياً وقال للأمير: «لقد فهمت يا بني أنك شخصٌ باسل لكن، هلا أخبرتني أين يكمن سر قوتك؟».

لم يشك الأمير بأي نية سيئة، فقال لو أن ثلاث شعرات أخذت من رأسه وربطت حول إصبعه، فإنه سيصير مجرد إنسان أعزل لا يقدر على شيء. قال السلطان إنه يودّ أن يختبر هذا، واستسلم الأمير لطلب أبيه، فانتزع ثلاث شعرات من رأسه وأعطاها لأبيه. ربط السلطان الشعرات الثلاث حول إصبع ابنه، الذي صار عاجزاً مثل طفل صغير.

والآن استدعى السلطان الجلاد وأمره أن يقطع رأس الأمير. لكن الجلاد رفض وفرَّ بعيداً. لم يدر السلطان ماذا يفعل. وبعد برهة انتزع هو نفسه عيني ابنه ووضعهما في جيبه، وأمر أن يؤخذ الأمير إلى بئرٍ نائية جافة ويلقى فيها. تبعت كلبة الأمير الصغير سيِّدها إلى البئر، وقفزت بعده إليها وظلت رفيقته في محنته.

مرَّت فترةٌ قصيرة، وأعلن السلطان رغبته في أخذ الفتيات الثلاث إلى قصره. لكنهن اشترطن عليه أن يرسل لهن أربعين عربةً، في كل عربةٍ فتاة وأربعين عربةً أخرى فارغة لتحمل أمتعتهن.

نفَّذ هذا، لكن الفتيات الثلاث قطعن رؤوس الأربعين فتاةً وأعدن جثثهنَّ في العربات الفارغة إلى السلطان. استشاط السلطان غضباً فأعلن الحرب على الفتيات الثلاث، لكن الفتيات حطَّمن جيش السلطان بمساعدة العفريت الأعرج.

في تلك الأثناء، توقفت قافلةٌ بجوار البئر الذي ألقي فيه الأمير أحمد. أصدرت الكلبة الصغيرة نباحاً استهلالياً ودياً لمن في القافلة فأعطوها خبزاً. أخذت الخبز مباشرة إلى البئر وتركته يسقط فيه، وعادت إلى القافلة، وتكرر هذه مرات ثلاث. أبصر قائد القافلة هذا، فقال: «هذه الكلبة إما أن يكون لها جراءٌ صغار، أو أن أحداً يختبئ في الأسفل».

تبع الكلبة وأبصرها تقذف بالخبز إلى البئر، ثم ذهب إلى البئر ونادى، وسمع من الأسفل الكلمات التالية: «أخرجوني من هذا البئر!».

ومن دون أي تأخير، أسقط حبلٌ إلى البئر ووجَّه الشخص الذي في الأسفل أن يمسك الحبل، لكن الصوت جاءهم أن يدي الشخص السجين في البئر هما لسوء الحظ مكبلتان ولا يمكنه أن يمسك بهما أي شيء. قصَّ الأمير كيف عامله عدوه. عندئذٍ قال قائد القافلة: «لو أخذناك معنا فقد يُظَنُّ أننا نحن الذين عاملناك هكذا، حينها ستتعرض قافلتنا للكثير من المتاعب. لعل الأفضل هو أن تبقى هنا وتصلي لله طالباً منه العون».

أعطوه طعاماً وشرابا وتركوه حيث هو. امتن الأمير أحمد كثيراً لهذا الإشفاق؛ وجلس في الليلة التالية يندب حاله، فظهر

شيخ أمامه. أخرج من جيبه عينين وثبتهما في المحجرين الفارغين في وجه الأمير أحمد فاستعاد بصره على الفور. لكن الشيخ الذي يدين له الأمير بهذه المكرمة اختفى قبل أن يتمكن من النظر إليه.

عاد الفتى الآن مباشرة إلى مدينته. وذهب إلى قصر أبيه، ووجد أن أباه يخوض حرباً مع الفتيات الثلاث، فقال: «يا سلطاني، ويا أبي، سوف آسرُ العفريت في ثلاثة أيام وأسلّمه إلى يديك».

سرَّ أبوه لهذا، ووعده إن هو فعل ذلك، أن يلبي له كل رغباته. كان العفريت قد أباد كلّ من أرسل من جيوش ضده. طلب الأمير أحمد من أبيه أن يسمح له باختيار جوادٍ وسيف لنفسه. كان جواده وسيفه قد ظلا في القصر منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي انتزعت فيه عيناه، فاختار سيفه وجواده. مسلّحاً بسيفه امتطى جواده المطهم واتجه لمواجهة العفريت.

عندما أبصرت الفتيات هذه الشاب آتياً إليهن وحده، استنتجن أن السلطان لم يعد لديه أي رجال يرسلهم للقتال. ولما اقترب الأمير، كفَّ العفريت عن مهاجمته، وتقابل النِدّان بسيفين مغمدين وجدّدا صداقتهما، وعادا معاً إلى قصر السلطان. ولما أبصر السلطان العفريت جمّده الرعب. صاح وهو يرتعش: «لا تأتِ به إلى هنا!».

لكن الأمير أجاب: «كان اتفاقنا هو أن آسر العفريت، وأسلّمه إليك فتقتله».

وهنا هجم العفريت على السلطان وقذف به بعيداً عن كرسي العرش، وقتله. ثم التفت إلى الوزراء، وقال: «انظروا! ابنه أحمد هو الذي جاء بي إلى هنا».

الوزراء الذين لم يوافقوا على قسوة السلطان ومسلكه الفظيع تجاه ولي العهد، نصبوا الآن الأمير أحمد على العرش وسط احتفالات بهيجة.

وكان أول فعل للسلطان الجديد هو أن أرسل من يأتي بأمه وبالفتيات الثلاث اللاتي شاركنه كلهن سعادته بعهده المظفر المجيد.

الكبد

اشتهت ذات يوم عجوز أن تأكل كبداً، فأعطت ابنتها بعض النقود لتشتري بها شيئاً من الكبد، قالت لها: «اغسليه في البركة ثم جيئي به في الحال إلى البيت».

ذهبت البنت إلى السوق، واشترت الكبد، وحملته إلى البركة وغسلته. وعندما أخرجته من الماء هبَّ لقلقٌ من الأعلى هاجماً على الكبد واختطفه وطار بعيداً.

صاحت الفتاة: «أعد إليَّ كبدي، أيها اللقلق كي آخذه إلى أمي، وإلا فستضربني». ردَّ اللقلق: «إن أنتِ أعطيتني شعيراً فسأعيد لك الكبد».

ذهبت البنت إلى الفلاح وقالت له: «أيها الفلاح، أعطني شعيراً كي أعطيه للَّقلق من أجل أن يعيد لي الكبد، لكي آخذه إلى أمي».

قال الفلاح: «إن أنت صليت لله كي ينزل المطر، فسأعطيك الشعير».

بدا لها هذا أمراً بسيطاً، وبينما تدعو قائلةً: «يا الهي، مُنَّ على الفلاح بالمطر فهو سيعطيني الشعير لأعطيه للقلق الذي سيعيد إليَّ الكبد لكي آخذه إلى أمي» أقبل رجلٌ وقال لها إنه لا جدوى من دعاءٍ بدون بخور.

لذلك، ذهبت البنت إلى التاجر وقالت: «أيها التاجر، أعطني بخوراً لكي أحرقه وأنا أدعو الله من أجل أن يسقط المطر للفلاح الذي سيعطيني الشعير لكي أعطيه للقلق الذي سيعيد إليَّ كبدي من أجل أن آخذه إلى أمي». ردَّ التاجر: «سوف أعطيك بعض البخور إن أنتِ أحضرت لي حذاءً من صانع الأحذية». هرعت الفتاة إلى صانع الأحذية وقالت له: «يا صانع الأحذية، أعطني زوجاً من الأحذية كي أعطيه للتاجر الذي سيعطيني بخوراً من أجل أن أحرقه وأنا أدعو الله الذي سينزل المطر للفلاح الذي سيعطيني شعيراً كي أعطيه للقلق الذي سيعيد إليَّ كبدي من أجل أن آخذه إلى أمي». لكن صانع الأحذية أجاب: «أولاً أحضري لي جلد ثور، عندئذٍ سأعطيك الحذاء».

ذهبت البنت إلى الدباغ وقالت له: «أيها الدباغ، أعطني جلداً كي أعطيه لصانع الأحذية من أجل أن يصنع حذاءً للتاجر الذي سيعطيني بخوراً لأحرق لله كي ينزل المطر للفلاح الذي سيعطيني شعيراً لآخذه للقلق الذي سيعيد إلي الكبد من أجل أن آخذه إلى أمي».

قال الدباغ للبنت: «أحضري لي جلد ثور وسأعطيك الجلد».

ذهبت البنت إلى الثور، وقالت: «أيها الثور، أعطني جلداً لأعطيه للدباغ من أجل أن يدبغه لي فأعطيه لصانع الأحذية كي يصنع حذاءً للتاجر الذي سيعطيني البخور من أجل أن أحرقه لله الذي سينزل المطر للفلاح الذي سيعطيني شعيراً من أجل أن أعطيه للقلق الذي سيعيد إليّ الكبد لكي آخذه إلى أمي». ردَّ الثور: «إن أنتِ أحضرتِ لي تبناً فسأعطيك الجلد».

عندها ذهبت البنت إلى القروي وقالت له: «يا قروي، يا قروي، أعطني تبناً لأعطيه للثور الذي سيعطيني جلداً من أجل أن أعطيه للدباغ ليدبغه لي وأعطيه لصانع الأحذية من أجل أن يصنع حذاءً للتاجر الذي سيعطيني بخوراً لأحرقه لله الذي سينزل المطر للفلاح الذي سيعطيني شعيراً لأهبه للقلق من أجل أن يعيد لي الكبد الذي خطفه مني لكي آخذه إلى أمي».

كيف للقروي أن يرفض؟ فقال لها: «سأعطيك التبن إن أنتِ قبلتني».

رأت البنت أن عليها أن تقبل القروي لكي تحصل على بغيتها. لذلك قبلته واستلمت الثمن. أخذت التبن إلى الثور فأعطاها الجلد، وأخذت الجلد إلى الدباغ الذي أعطاها جلداً مدبوغاً فأخذته إلى صانع الأحذية الذي أعطاها حذاءً فأخذته إلى التاجر الذي أعطاها بخوراً فأحرقته ودعت الله: «يا الهي، انزل المطر!»، والله أنزل المطر فأخذته إلى الفلاح الذي أعطاها شعيراً، فأخذته إلى اللقلق فأعاد لها الكبد فأخذته إلى أمها التي طبخته وأكلتاه معاً.

المتنبئة

كان لأرملة ثلاث بنات، إحداهنَّ تغزل القطن والأخريان تخيطانه، وهكذا كانت الأرملة وبناتها يكسبن عيشهن.

رأت الفتيات ذات مرةٍ إحدى الغجريات تمشي في الشارع، فقالت كلٌّ واحدةٍ للأخرى: «هيا بنا ندعوها لتستطلع لنا مستقبلنا».

وافقن كلهن فنادين الغجرية العجوز التي كانت يدها مزينة بالفضة، وقالت للأخت الكبرى: «نصيبك في قعر بئر». وقالت للوسطى: «نصيبك في المقبرة»، ثم قالت للصغرى: «نصيبك في العار».

تلفَّظت الغجرية بهذه الكلمات المشؤومة، واختفت.

وفي أحد الأيام، كانت الأخت الكبرى تغزل القطن، فانقطع خيطها والتفّ المغزل وسقط وتدحرج بعيداً حتى اختفى فجأة ساقطاً في البئر. صاحت: «أوه، يا ويلي! لقد سقط مغزلي إلى البئر، ساعداني لأستعيده».

ربطتها أختاها بحبل حول خصرها وأنزلتاها إلى البئر.

عندما وصلت قعر البئر أبصرت بوابةً حديدية، ففتحتها ودخلت، وإذا بشابٍ وفتاةٍ نائمين وإلى جوارهما رضيع في المهد. نزعت شالها وغطت الفتى والفتاة به، ووقعت عيناها على سكين فالتقطتها ووضعتها تحت حزامها. بعد ذلك عادت إلى فوهة البئر وأعطت أختيها الإشارة ليسحبنها نحو الأعلى. عندما وصلت سألتاها لماذا تأخرت كثيراً في البئر. قالت: «لقد بحثت عن مغزلي حتى وجدته». فاقتنعت أختاها بهذا.

كان الشاب ابن رجلٍ ثري، وكانت الفتاة جنِّية. وعندما وقعت في حب الشاب كانا يلتقيان يومياً في قاع البئر. وعندما استيقظت الفتاة أبصرت الشال حولها فأصابها الغم الشديد. وصاحت: «يا ويلي! لقد اكتشفنا أحد البشر، واختفت في الحال آخذةً الطفل معها. ولما فقد الشاب سكينه، وفشل في العثور عليها، علَّقَ قائلاً: «والآن وقد تحررت من الجنية، سأكتشف من الذي أخذ سكيني». تسلَّق خارجاً من البئر، واشترى عدة أصناف من البضائع الخفيفة، وأخذ يجوب الشوارع منادياً يبيعها. من أراد أن يشتري منه شيئاً، قال له إنه لا يبيع بالنقود بل سيقايض بضاعته بالسكاكين من أي نوع.

وظل هكذا ذاهباً آيباً حتى وصل إلى البيت الذي تسكنه الفتيات الثلاث. نادينه، فدخل، واخترن إبراً وحريراً وعندما سألنه عن السعر، قال لهن إنه لا يقبل النقود مقابل بضاعته، بل سيأخذ بالمقابل أيَّ سكين قديمة.

سمعت الأخت الكبرى هذا، وأحضرت السكين التي أخذتها من قاع البئر. قَبِل الشاب بالسكين مقابل البضاعة، ثم عاد إلى البيت وأخبر أمه أن تذهب إلى الفتاة التي حررته من الجنية وتخطبها له. ذهبت السيدة ووافقت الفتاة أن تصير زوجة له، وبعد فترة تم الزواج.

فلنترك هذين الزوجين السعيدين، ولنتتبع حظ الأختين الأخريين. ذهبت الأختان ذات يوم إلى الحمام معاً. استحمتا، وعادتا إلى البيت، وفي الطريق. اكتشفت الأخت الوسطى فجأةً أن أختها الصغرى لم تعد بجوارها إذ اختفت تماماً. بحثت الفتاة القلقة عن أختها الضائعة في الحارة كلها، لكنها اختفت من دون أن تترك أي أثر يذكر. أرهقها البحث فجلست لتستريح في المقبرة، وهناك غرقت في النوم من شدة الإعياء. وفجأة استيقظت من نومها على صهيل جواد، تلفتت حولها فرأت رجلاً يترجّل عن الجواد المطهم. مضى إلى قبر بعينه، وفتحه، وأخرج فتىً،

وأعطاه شيئاً ما ليستنشقه، ففعل واستعاد وعيه. بعدئذٍ أعطاه طعاماً وشراباً، وسأله إن كان سيطيعه، فأجابه الفتى: «إني أفضل الموت»، فأعاده الرجل إلى القبر وأغلقه ومضى.

كان الفتى أميراً تعرض لمرض عضال، في حين كان الرجل طبيباً، وقد جعله جمال الفتى شديد التعلق به لدرجة أنه لم يكن يقدر على احتمال فراقه. قال له الطبيب ذات يوم: «لسوف أشفيك، بشرط أن تطيعني بعد ذلك دائماً». ولم يوافق الفتى، فانتقم منه الطبيب بجرعة مخدِّرة سقط معها في حالة إغماء تشبه الموت. اعتقد أبواه أنه قد مات، فدفناه في قبو، وكان الطبيب يذهب إليه كل ليلة ليعذِّب الفتى المسكين حتى يخضع لرغباته.

وبعد أن شهدت الفتاة هذا المشهد المأساوي، انتظرت حتى حل الظلام، ورجعت إلى البيت، اشترت في طريقها طبقاً من الحلوى إذ كانت في غاية الجوع. وهي تأكل، لاحظت أن كل الناس في الحانوت كانوا يبكون، وسألت عن السبب، قالوا لها: «الأمير مات منذ أربعين يوماً، وقد بقيت الحلوى بأيدينا حتى اليوم».

لما سمعت بذلك، طلبت أن تؤخذ إلى السلطانة لأن لديها له رسالة هامة. أُخذت إلى السلطانة في قصرها، ولما ظهرت أخبرتها

بأن ابنها لم يكن ميتاً كما يُعتقد، بل هو حيٌّ يرزق. وقالت لها: «زوجيني به وسأستعيده لك».

ردَّت السلطانة بالقول: «يا بنيتي، أنت مجنونة ولا ريب. لقد مات منذ أربعين يوماً. لابدّ من أنه صار رميماً».

غير أن الفتاة أقسمت أن الأمير لا يزال حياً، وقالت: «إن لم تصدقيني، تعالي معي هذا المساء وسوف أريك ابنك».

حمست السطانة السلطان حول الأمر، وفي الليل ذهبوا إلى المقبرة. وفي منتصف الليل أقبل الطبيب، وفتح القبر، وأخرج الأمير وأعاده إلى وعيه، وسأله سؤاله المعهود. وما إن سمعا صوت ابنهما، حتى أسرعا إلى القبر يبكيان ويضمانه إلى صدرهما. وفيما بعد قطع رأس الطبيب الشرير، أما الفتاة التي كانت السبب في استعادة الأمير فقد صارت زوجةً له.

في تلك الأثناء، وجدت الأخت الصغيرة طريقها إلى البيت، فظلت تنتظر عودة أختها. ولما لم تأتِ، ارتدت ملابس رثةً، وخرجت تبحث عنها متسولةً خبزها من منزلٍ إلى منزل حيثما ذهبت. وذات يوم وصلت إلى بيت يسكن فيه مستأجر له ابن لا يفعل شيئاً منذ الصباح حتى المساء، بل يظل مستلقياً على ظهره

واضعاً رأسه بين وسادتين. ظل أبواه يتمنيان أن يزوجاه، لكنه لم يكن يريد أن يبحث عن فتاة المستقبل، كما أن كل الفتيات رفضن أن يولينه أي اكتراث.

وحين طرقت الأخت الصغرى باب ذلك المنزل أدخل صوتها ووجهها الجميل السرور البالغ على الأبوين العجوزين. استقبلاها بترحاب، وبعد قليل من التفكير، قالا: «يا بنيتي، إن لدينا ولداً، هل ترغبين أن تصيري زوجته؟».

أجابت: «نعم، بالتأكيد».

قالت الأم: «لكنه لا يتفوّه بكلمة واحدة إلى أي إنسان».

«لا بأس، لسوف أجعله يتحدث عمّا قريب حين يصير زوجي».

وهكذا تزوجا، وكانت الفتاة تُترك وحدها مع الفتى للتعرف عليه. تأكدت الفتاة الآن أن الشاب هو فعلاً كما وصفوه لها. كان يبقي رأسه مغروزاً بين وسادتين من دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة مع أحد.

أغلقت الفتاة الغرفة، ومضت إلى الشاب، وكأنها تتحدث إليه، قالت: «يا حبيبي، دعني أذهب، لا تمسكني بقوةٍ هكذا!».

كان الوالدان العجوزان يستمعان في الخارج، ولما سمعا الكلمات ظنّا أن الفتاة قد نجحت في الاستحواذ على اهتمام ابنهما.

وفي المساء وُضِع الطعام أمام الاثنين، لكن الشاب لم يحرك رأسه من بين الوسادتين. لذلك أكملت الفتاة طعام الاثنين، وبعد ذلك استلقت متظاهرة بالنوم، وظلت منتبهة إلى الشاب تنظر إليه من وراء غطاء السرير. عندما اعتقد أنها قد نامت، نهض بصمت، وفتح الباب، وصعد إلى الأعلى. تبعته الفتاة خلسة، وأبصرته يلتقي مخلوقة بديعة جميلة كالبدر، حيته بهذه الكلمات: «سيدي، لماذا تأخرت هكذا لقد تعبت من الانتظار. لو أنك تأخرت أكثر، لكنت تركتك». شرح لها الشاب ما حدث، وكيف اضطر إلى الانتظار حتى تنام الفتاة.

تلك الفتاة الجميلة كانت ابنة سلطان الجن التي كانت أول من رآها الشاب في حلم فوقع في حبها. قالت له الفتاة: «إذا لم تنظر

إلى أي امرأة أخرى غيري، فسأزورك كل ليلة». وهكذا، ألصق الشاب رأسه بين وسادتين رافضاً أن ينظر إلى أي امرأة أخرى. ولما سمعت الجنية بالأخت الصغرى، قالت: «لو نظرت إليها مرةً واحدة فقط، فلن تراني مرةً ثانية».

لما سمعت مسترقة السمع هذه الكلمات عادت إلى غرفتها وأغلقت بابها. ولما عاد الشاب إلى غرفته وجد الباب مغلقاً دونه. ولم يكن أمامه من سبيل سوى أن يتوسل الفتاة في الداخل أن تفتح له الباب. ردَّت عليه أنها ستفتح له الباب إن هو وعدها وعداً نبيلاً أن يتحدث معها لوهلةٍ فقط. فاضطر للوعد إذ لم يكن ثمة من مناص. فتحت الفتاة الباب، وتركته يدخل، وما أن وقعت عيناه عليها، حتى انتصب جدارٌ سحريٌّ بين درجات السلم والباب، وتلك علامة على أن الجنية لن ترجع بعد الآن.

شكر الوالدان الله على ما منَّ عليهما بما أحدثه من تحوُّل في ضجر ابنهما وكانا في منتهى السرور إذ عثرا على كنَّتهما، فاحتفلا بزواجهما احتفالات بهيجة دامت أربعين يوماً وأربعين ليلة.

الأخت والأخ

عاش رجلٌ ثريٌّ يدعى أحمد أغا هو وزوجته ولا أحد معهما. لم يكن يعكر سعادتهما سوى حقيقة أن ليس لهما ولد. قال أحمد أغا: «لقد منَّ الله عليَّ بالكثير من الأملاك والثراء، كما أن لديَّ اسم كريم مشرَّف، لعل الله يمنَّ عليَّ بطفل! عندئذٍ، فإن حظي وشهرتي ستكتملان أكثر وتصيران أجمل».

كان في إحدى الليالي يفكر في الأمر كالمعتاد، ثم قال لزوجته: «هل تعتقدين أنه كان من الأفضل لنا لو أن الله وهبنا طفلاً مع الفقر؟».

كانت مثل هذه الكلمات تجرح زوجته كثيراً وتؤذي مشاعرها، لذلك كانت كلما ذهبت للنوم تدعو الله أن يواسيهما ويدعوها إلى الصبر.

وفي ليلة من الليالي حلمت أنها كانت جالسة على شاطئ البحر، فخرجت حورية إلى سطح الماء وبيدها وعاء، ثم قالت

لها: «قولي لزوجك إن الله قد كتب له نصيبه، فليأت ويأخذه».
فأسرعت إلى البيت لتخبر زوجها، وفي فرحتها أيقظت أحمد أغا، واستيقظت هي أيضاً. سألها زوجها: «ما الخطب؟».

قالت: «لا شيء، لكنك أنت الذي أيقظتني».

ردَّ الرجل: «لا، أنتِ التي أيقظتني».

ثم استعادت زوجته ما رأته وما سمعته في حلمها. عندئذٍ قال زوجها مغمغماً: «إذن، هذا هو السبب الذي جعلك توقظيني». وبعد ذلك استدار في مرقده ونام من جديد.

أما زوجته فكان الحلم بالنسبة لها فألاً حسناً. وبعد أن استيقظت صباح اليوم التالي، نصحت زوجها أن يذهب إلى شاطئ البحر. قالت له: «قد لا يكون حلماً بدون معنى».

قال: «لا تكوني حمقاء. إن نصيبنا ليس في الأحلام. إذا ما أراد الله أن يمنحنا هبةً فإنه سيهبنا إياها بطريقة أخرى».

لم تتركه زوجته، بل ظلت تلح عليه: «ومع هذا، فالبحر لن يبتلعك، ولعل الله يباركنا بهذه الطريقة».

لم يستطع الرجل أن يصمد أمام إلحاح زوجته، لذلك، عندما خرج للتمشية، اتجه صوب شاطئ البحر. ولما كان يذرع الشاطئ ذهاباً وإياباً، لاحظ شيئاً أسود تسوقه أمواج البحر إلى الشاطئ. وعندما اقترب منه استطاع أن يرى بوضوح أنه وعاءٌ مغطى بإحكام. وبين الخوف والرجاء أمسك الوعاء، وباسم الله فتحه. تخيَّل مدى فرحته أن وجد بداخله مولودين جديدين.

عندما أبصرهما أحمد أغا، كان هو نفسه أشبه بطفل، وفي غمرة فرحه لم يدر ماذا يفعل. خلع معطفه، ولفَّ به الطفلين بعناية شديدة ثم جرى حتى وصل إلى البيت. وحين وصل وقد كادت أنفاسه تنقطع، حطَّ الصرة في حضن زوجته. ولما فتحتها وأبصرت ما تحويه، خرجت عن طورها من شدة الفرح، أخذت تقبِّل الطفلين وتضمهما إلى صدرها. سرعان ما شعر الرضيعان بالجوع وبدآ بالبكاء بحرقة، فأعادهما بكاء الطفلين إلى رشدهما، هرع أحمد خارجاً يبحث عن مربية للأسرة غير المتوقعة. ولم يمض وقت طويل حتى وجد امرأةً مناسبة ووظفها بأجر مجز. ولما وصلت سكن بكاء الرضيعين وفي اليوم التالي، وظِّفت مربيتين أخريين للاعتناء بالرضيعين، وهكذا شبَّ الولد والبنت صحيحين قويين.

وفي مدينة أخرى، كان هناك رجلٌ شبيه بأحمد أغا من دون أطفال، وكان يرغب بقوة ويتمنى أن يمن الله عليه بطفل. لذلك كان هو زوجته يصليان ويتضرعان إلى الله أن يرزقهما طفلاً. وعندما علما أن دعوتهما لن تخيب بل سيستجيب الله لهما، كانت فرحتهما بلا حدود. وصلت الأخبار الجيدة إلى أذني إحدى الخادمات التي كانت ذات مرة تعمل لديهما، لكنها طردت من قبل الزوجة لإهمالها واجباتها، وقد شعرت بالغيرة الشديدة تجاه السعادة التي حلَّت بسيدتها السابقة. قررت أن تأخذ بثأرها، فقدمت نفسها كمربية، ووظفت. وفي الوقت المحدد وُلِد توأمان، ولدٌ وبنت، لكن حين كانت أمهما نائمة، وقبل أن يتمكن أبوهما من رؤيتهما، أخذت المربية المزيفة الرضيعين ووضعتهما في وعاء وأغلقته بإحكام، ورمته في البحر. وبينما كان الرجل نائماً، جلست بجانبه وهمست في أذنه فظن أنه في حلم أنعم الله به عليه. أخبرته أنه خدع، وأنه لم يحصل على أي طفل. ولما كانت الأم نائمة، لم تدر ما حدث لطفليها، ومن المؤكد أنهما لم يكونا في أي مكان حتى يعثر عليهما. لذلك ثار الرجل وغضب غضباً شديداً إذ صدَّق حلمه، وظنَّ أن زوجته حاولت أن تخدعه فطردها من البيت. لم يكن للمخلوقة البائسة من صديق ولا قريب في هذه الدنيا، فخرجت تبكي وتنوح بمرارة لا توصف.

تحوَّلت من جبل إلى جبل، حتى بدا لها أن كل جبل يختلف بلونه عن الجبال الأخرى بالرغم من الظلام. استولى عليها الرعب وانهمرت دموعها غزيرة. وأدركها الجوع والإعياء ولم تدر ما عساها تفعل. أخيراً، أبصرت شجرةً فتسلقتها لتقضي الليل وتنتظر فرج الله. وبعد أن استقرت بين الفروع المورقة وأخذت تبكي وتتوسل النوم. وعند طلوع الفجر نزلت من الشجرة آملةً أن تقابل عابر سبيل أو تصل إلى قرية يمكنها أن تحصل فيها على بعض الخبز.

لكن، واحسرتاه! ما من عون قريب، وبعد تجوالٍ دام ساعات طويلة، سقطت من فرط الإجهاد. لكنها رأت الآن راعياً في البعيد، فاستدعت كلَّ ما بقي لديها من قوةٍ واهية وخاطبته. قدَّم لها الراعي خبزاً وسألها عن حالها. ولما قصت عليه حكايتها، أشفق عليها وقادها إلى البيت إلى زوجته، وابنه وابنته.

انقضت الأيام، وأوشكت المسكينة أن تنسى أحزانها، باستثناء فقدها لطفليها اللذين ظلت تتنهَّد وتبكي علهما بحرقة شديدة. ما الذي حدث لهما؟

في رعاية أحمد أغا وزوجته، شبَّ الطفلان حتى بلغا عامهما الرابع عشر، وذهبا معاً إلى المدرسة. وفي أحد الأيام، كان الولد

يلعب مع أحد رفاقه الذي قال له تحت تأثير الغيرة منه ومن تميُّزه: «ابتعد أيها المزعج، يا عديم الأم والأب، يا من عثر عليه أحمد أغا على شاطئ البحر».

بسماعه لهذه الكلمات تكدَّرت سيماؤه، وجرى غاضباً إلى أمه بالتبني وأخبرها بما سمعه. حاولت أن تهدِّأه، لكن الولد حلم ليلتها بكوخ أحد الرعاة وبأمه أيضاً التي حكت له في الحلم كلَّ معاناتها. وعندما أعاد الحلم على أخته، عجباً! لقد حلمت هي الحلم ذاته. عندئذٍ عرف الولد أن ما عيّره به رفيقه في اللعب لم يكن خالياً من الحقيقة، بل كان حقيقة فعلية. ذهبا معاً إلى أبيهما بالتبني وأخبراه بما حلما به. تكدَّر الرجل الطيب، لكنه اعترف أنه وجدهما فعلاً في وعاءٍ جرفته أمواج البحر إلى الشاطئ، وأنه لا يعرف عن أمهما شيئاً. شعر الأخوان باليأس من فكرة أن أمهما المسكينة تعيش في كوخ راعٍ. وكان من المستحيل التخفيف عنهما، وأخيراً أعلن الولد عن عزمه الذهاب للبحث عن أمه. وبقيت أخته في رعاية أبويهما الطيبين.

أسرع الولد بكل ما لديه من قوة وشجاعة بطولية وحماس وشوق لرؤية أمه، ولما كان مستلقياً يستريح وينظر في النجوم، عرف المكان الذي استقرت فيه أمه من خلال أحد الأحلام. ولكيلا نستطرد

في قصتنا، سنكتفي بالقول إنه قطع رحلة خمسة أيام من دون أن يعاني جوعاً أو خوفاً. وبينما هو سائر في الطريق الذي رآه في الحلم وجد أن طريقه قد سُدَّ بواسطة تنينٍ بشع. لم يكن مع الفتى سلاح، فالتقط حجراً كبيراً وقذف به الحيوان القبيح بقوةٍ هائلة جعلت ذلك المخلوق يتدحرج إلى الخلف ثم يسقط على الأرض. صرخ التنين قائلاً: «إن كنت رجلاً، اقذفني بحجر آخر».

لكن الفتى مضى في طريقه تاركاً التنين يهلك.

وواصل الفتى سيره بلا كلل أو ملل، ووصل بعد فترة إلى الوادي الذي قضت فيه أمه ذات مرةٍ ليلتها في الشجرة. توقف هنا تحت الشجرة كي يجد شيئاً من الراحة التي هجرته. وبينما هو نائم، أقبل أخو التنين الميت باحثاً عن الولد بعد أن سمع بما حدث. جعلت خطوات التنين المهول الأرضَ تهتز فأيقظت الفتى. قال التنين: «أنا متأكدٌ أنك الفتى الذي قتل أخي الآن جاء دوري».

قال ذلك وكان شدقاه يلفظان الدخان ومنخراه يطلقان النار، ثم قفز هاجماً على الفتى. أمسك الفتى قدم التنين الأمامية وشدَّها بكل قوته حتى نزعها عن جسمه وقذف بها بعيداً. تهاوى التنين ضعيفاً منهاراً بعدما نزف من دمه، فقال: «كنزي ملك لمن قضى على حياتي».

تدحرج التنين، واختفى أخيراً في كهف عند أقدام الجبل. نظر الفتى، وقد تزايد حب استطلاعه، إلى فم الكهف، فأبصر درجاً يقود إلى الأسفل. نزل، فوجد قصراً دخله وأخذ يسبر جوانبه. وجد في جناحٍ فتاةً جالسة على عرش - فتاة كانت من الجمال إلى درجة أن قلبه وقع ألف مرةٍ بحبها. ومن ناحيتها، أسرها جمال الفتى فشعرت بالنشوة تغمر قلبها، لكنها وقبل أن تعرف بدمار التنين، قالت: «يا ويلنا! لو أن التنين يرى هذا الفتى لقتلنا معاً. ثم خاطبت الفتى: «كيف استطعت أن تصل إلى هذا القصر وهو قصر التنين المنقطع الأنفاس. إن كل من وقع عليه بصره ذُبح في الحال».

حكى الفتى للفتاة كيف قضى على التنينين كليهما، ودعاها للخروج معه. وبدا أنها لم تفهم، فأعاد عليها كلماته وألح عليها أن تسرع لأن لديه أعمالاً أخرى عليه أن ينجزها. قالت الفتاة: «ما دام الأمر هكذا، فإن لدينا هنا الكثير مما يجب علينا أخذه معنا».

ثم قادته الفتاة ودخلا أربعين غرفة من غرف القصر، كانت كل غرفة ممتلئةً ذهباً وماساً وأحجاراً كريمة. مهما يكن، فقد قال الفتى: «يا عزيزتي، يجب عليّ القيام أولاً بواجب مهم، وبعد أن أؤديه سنعود ونأخذ من هذه الكنوز ما نريد».

وهكذا ارتحلا، وبعد مسافة أبصرا كوخ الراعي الذي يأوي أم الفتى. تعرَّف على الكوخ في الحال إذ كان كما رآه في الحلم تماماً. هرع إلى الكوخ وطرق بابه، ففتحته أمه بنفسها. تعرَّف كلٌّ منهما على الآخر من أحلامهما فارتميا أحدهما على الآخر. وفي صباح اليوم التالي مضوا جميعاً إلى قصر التنين. وعلى ظهور الخيول والحمير التي جاءوا بها معهم حملوا من حقائب الذهب والماس والأحجار الكريمة قدر ما استطاعوا. بعدئذٍ حثوا السير إلى منزل أحمد أغا ولم يكونوا يتوقفون إلا لفترات قصيرة للراحة. وفي بيت أحمد أغا اجتمع الفتى بأمه وأخته، فاستعاضت المرأة عن كل متاعبها التي مرت بها، وعاشوا جميعاً في سعادة سنوات عديدة.

تزوج ابن الراعي الطيب أخت الفتى، بينما تزوج الفتى بفتاة قصر التنين. ووجدوا زوجاً مناسباً لابنة الراعي، فتزوجوا كلهم في يوم واحد، وتواصلت الاحتفالات والأفراح أربعين يوماً وأربعين ليلة، وعاشوا في سعادة دائمة.

الشاه يوسف

عاش في أحد البلدان رجلٌ له ثلاث بنات. كانوا في حال من الفقر لدرجة أنهم لم يكونوا يجدون كسرة خبزٍ في منزلهم، ومن دون أن يدرين ما العمل غزلت الفتيات الثلاث خيطاً وأعطينه لأبيهن وقلن له: «خذ هذا إلى السوق وبعه بشيءٍ من النقود ثم أحضر لنا ما نأكله».

أخذ العجوز الخيط وذهب إلى السوق، لكن ما من أحدٍ اشتراه منه. وبينما هو ذاهبٌ آيب في حالٍ من اليأس، برز أمامه أحد العرب وسأله: «ماذا لديك لتبيعه، أيها الوالد؟».

أراه العجوز الخيط، وأشار أن عليه أن يبيعه لكي يشتري بثمنه شيئاً من الطعام. سأل الجنيّ عمّن غزل ذلك الخيط. فأجاب: «بناتي في المنزل».

اشترى الجنيّ الخيط ودفع ثمنه مبلغاً لا بأس به. ثم طلب من الرجل أن يعطيه إحدى بناته، قال: «سأتحدث إلى بناتي بالأمر، وإن استطعت أن أقنع إحداهن، أخذتها».

وهكذا صحبه الجنيّ إلى البيت. ولما وصلا، قال الأب لابنته الكبرى: «إن أنا زوجتك جنياً، فهل ستذهبين إليه؟».

ردَّت: «وما عساني أفعل مع جنيّ؟ زوجني إلى رجل يمكن أن يكون أكثر نفعاً».

ثم سأل السؤال نفسه البنت الوسطى، وكان ردُّها مثل ردِّ أختها الكبرى. أما البنت الصغرى فقالت إنها مستعدةٌ أن تتزوج بالجنيّ كي تخفِّف قليلاً من عبء فقرهم.

وهكذا أخذ الجنيّ الفتاة تحت رعايته، وأعطى العجوز الكثير من الذهب ورحل مع البنت الصغرى.

بعد أن قطعا مسافةً، قال الجنيّ للفتاة: «أغمضي عينيك - افتحي عينيك!».

وفجأة وجدت نفسها في قصر فخم والحشم والخدم يساعدنها في صعود درجات السلم البديعة. حسبت نفسها في الفردوس،

إذ كان كل شيءٍ هنا في غاية الروعة، وفي أعلى السلم، استلمتها خادمات أخريات واصطحبنها إلى غرفة تلمع بالماس واللؤلؤ لأن الجدران والأرضية كانت مزخرفة بهذه الأحجار الكريمة، ثم جاءت خادمات بلباس ورداء مطرزين بالذهب والفضة البراقة ثم ألبسنها.

وفي المساء قدِّم الطعام الشهي بأطباقٍ ذهبية، وقد اشتملت الوقعة الأولى على كأس من الشربات، ما إن تناولته حتى غرقت في نوم عميق. وسرعان ما حملتها الخادمات إلى سريرها. وبينما هي نائمةٌ دخل صاحب القصر، وأخذ يحدِّق فيها بإعجاب، ثم خرج قبل أن تستيقظ. وحين استيقظت الفتاة في الصباح، جاءت الخادمات ليحمِّمنها ويلبسنها، وينفذن أبسط ما تأمر به. وهكذا سارت حياتها اليومية مدة ثلاثة أشهر، حين شعرت بالحنين لرؤية أبيها وأختيها.

وذات يوم ذكرت الأمر للجنيّ الذي أحضرها إلى القصر. قالت: «أيها الوزير، ألن تسمح لي بقضاء بضعة أيامٍ مع أبي وأختيَّ؟».

ردَّ عليها الجنيّ بقوله: «لا تخاطبيني بـ الوزير، اسمي لقلق أغا وأنا حارس القصر». وفي اليوم التالي، أعادت طلبها لكن

الجنيّ صحح لها ببساطة كما فعل من قبل. وفي اليوم الثالث، عندما خاطبته بـ لقلق، يا أغاي، استمع إلى طلبها وهي تقول: «أنا مشتاقة لأقضي يوماً أو يومين مع أبي وأختيَّ».

«حسنٌ جداً، سنذهب غداً». تحدث الجنيّ مع سيده عن الموضوع، ولم يعترض هذا، لكنه أكَّد على الجنيّ ألا يسمح للفتاة أن تغيب عن عينيه طويلاً. وهكذا استعدت الفتاة لرحلتها في الغد إلى منزل أبيها مع لقلق أغا الذي زوَّد نفسه بالكثير من الذهب. أمرها لقلق أغا: «أغمضي عينيك - افتحي عينيك!»، ويا للعجب! صارا في منزل أبيها، وفي لحظات كانت تتلقى عناق أبيها وأختيها السعداء برؤيتها. كانت الفرحة تغمر البيت في ذلك اليوم. افتتح الأب بالنقود التي أعطاها له الجنيّ حانوتاً، وها هو ذا الآن يعطيه المزيد من الذهب لينمي تجارته.

سألت الأختان أختهما كيف هي. أجابتهما: «ليس الحال على ما يرام. ففي كل ليلة أتناول كأساً من الشراب فأنام على الفور».

ثم سألنها عمّا إذا كانت قد رأت الحاكم. أجابت أن الجنيّ هو الوحيد الذي رأته. حينها أعطينها إسفنجه وقلن لها: «في

المرة القادمة، حينما تُقدَّم لكِ الشربات تظاهري أنك شربتها، ثم دعي هذه الإسفنجه تمتصها، ثم ارقدي وتظاهري بالنوم. وستعرفين ما يحدث لك».

وبعد أن انتهت الأيام القليلة، استأذنت أباها وأختيها بالمغادرة، ورحلت مع الجنيّ. ومع «أغمضي عينيك - افتحي عينيك»، وجدت نفسها مرةً ثانية في السرايا.

وفي المساء أحضرت الشربات كالعادة، لكن الفتاة سمحت للشراب أن يتسرب إلى الإسفنجه وهي تتظاهر بتناوله. بعدها، رقدت وتظاهرت بالنوم. حملتها الخادمات إلى السرير، وكالعادة، جاء الحاكم ووقف يحدِّق فيها. ولما سمعت خطوات الأقدام لم تعد تحتمل إغماض عينيها، ففتحتهما لترى من الذي دخل، وحين أبصر الحاكم أنها كانت مستيقظة عرف أنها قد خدعتهم جميعاً بشأن الشربات. قال غاضباً: «هكذا، إذن، لقد ظننتِ أنك بخداعنا قد أشبعت فضولك؟ لذا فإن عقوبتك هي أنك ستنتعلين حذاءً حديدياً وتحملين عكازاً حديدياً وسيكون عليك أن تبحثي عني مدة سبع سنوات حتى تعثري عليَّ».

قال هذه الكلمات وتوارى.

ألبست الفتاة حذاءً حديدياً وأعطيت عكازاً حديدياً وبدأت حجَّها. هامت في الجبال والوديان واجتازت السهول، مع أنها عندما التفتت لترى المسافة التي قطعتها وجدت أنها لم تقطع إلا ما يساوي طول سنبلة الشعير. وهي ماضية في طريقها قابلت امرأةً–عفريتة لها قرنٌ واحدٌ في جبينها، وقدمان هائلتان. حيَّت العفريتة فردَّت: «لو لم تحيني، لمزَّقتك إرباً والتهمتك».

ردَّت الفتاة: «ولو لم تردي أنتِ تحيتي لصرعتك بهذا العكاز».

سألتها العفريتة من أين أتت، وإلى أين هي ذاهبة، فأخبرتها الفتاة بحكايتها. عندئذٍ أعلمتها العفريتة أن الشاه يوسف، الحاكم، قد مرَّ من ذلك المكان. وإذا واصلت سيرها، ستجد عفريتةً أخرى وستخبرها بالمزيد.

مضت الفتاة في طريقها حتى قابلت العفريتة الثانية التي قالت لها إن الشاه يوسف قد مرَّ قبل وقت قصير. سارت الفتاة وسارت حتى قابلت عفريتة ثالثة كانت تنظف تنُّوراً حاراً. سألها الفتاة إن كانت قد رأت الشاه يوسف. استفسرت العفريتة التي هي في الواقع عمة الشاه يوسف نفسه: «لماذا تسألين؟».

وبعد أن حكت لها الفتاة قصتها، قالت العفريتة: «إن شئت، بقيتِ معي. الشاه يوسف يزورني مرةً كل سبع سنوات، وهكذا يمكنك مقابلته هنا».

قبّلت الفتاة يد المرأة، واقتنعت بالبقاء. غير أن المرأة–العفريتة أضافت: «لا يمكنك البقاء معي في هيئتك الحاضرة، لأن لي أربعين ابناً وهم سيأكلونك».

قالت المرأة –العفريتة ذلك، وخبطت الفتاة وحوّلتها إلى تفاحة، ووضعتها على أحد الرفوف.

وفي الليل أقبل الأولاد–العفاريت، وقالوا لأمهم: «إننا نشتمُّ رائحة لحم إنسان!» تساءلت الأم: «وماذا عسى إنسان أن يفعله هنا؟»ومع ذلك، فبعد أن فرغوا من تناول عشائهم، سألت الأم: «لو أن أحداً ظل طريقه إلى هنا، وقبّل يدي، وتوسل إليّ أن أقبله طفلاً لي، ما الذي ستفعلونه لو كنتم مكاني؟».

ردَّ الأبناء: «نقبله كأخ لنا، ولا نتعرض له بأي أذى».

عندئذٍ، أخذت الأم–العفريتة التفاحة من الرَّف وربتت عليها وحوّلتها إلى فتاة مرةً ثانية. وقالت لها: «اذهبي وقبّلي أيدي إخوتك».

فعلت الفتاة ما أمرتها به، وقَبِلها العفاريت أختا لهم. وبعد مدة قصيرةٍ من وصولها إليهم ولدت الفتاة ابناً، وقبله العفاريت أيضاً كقريبٍ لهم وعاملوه بحنان.

أمضت الفتاة سبع سنين بصحبتهم، ولما أوشكت السنة السابعة أن تنصرم، قالت الأم–العفريتة ذات يوم للفتاة: «الشاه يوسف سيكون هنا قريباً. إن هو طلب كوباً من الماء، أحضريه، وعندما يُرجِعُ الكوب الفارغ، دعيه يسقط من يدك وينكسر. عندئذ سأتظاهر أنا بالغضب عليك، وسنرى حينها إن كان يحبك. فإذا كان يحبك، فلن يسمح لي بأن أضربك».

وبعد أيامٍ قليلة، ظهر الشاه يوسف تبدو عليه سيماء الحزن والإرهاق. وبعد تبادل التحيات، سألته عمته لماذا يبدو مكتئباً على غير عادته من المزاج المرح. قال: «إنني أعاني من غصص الحزن. لهذا أبدو مكتئباً». أقرّت المرأة أنها لا تفهم. وأُحضر الطعام، وبينما كان الشاه يوسف يأكل، طلب كوباً من الماء. أحضرته الفتاة، فأخذ يشربه مبقياً عينيه عليها، لم يستطع الكف عن النظر في شبهٍ حي بينها وبين الزوجة التي كان يبحث عنها. ولما شرب الكوب أعطاه للفتاة التي أخذته، ثم – وكأنما بسبب من عدم الانتباه – تركته يسقط على الأرض فانكسر إلى قطع صغيرة. هبّت المرأة–العفريتة

من مقعدها غاضبة، وانهالت على الفتاة توبخها بقسوة وكادت تضربها لولا تدخل الشاه يوسف الذي حال دونها، ملقياً باللوم على نفسه هو بدلاً من الفتاة. هدأت المرأة–العفريتة، وصرفت الفتاة قائلةً: «اغربي عن وجهي».

لم يستطع الشاه يوسف الكفَّ عن التفكير بالفتاة، وسأل عمته من أين جاءت بهذه الفتاة، وعما إذا كانت ستبيعها، فقالت إنها لا تستطيع الاستغناء عن الفتاة في المنزل.

بقي الشاه يوسف بضعة أيام أخرى، ثم رحل. ومع هذا، لم يستطع الحفاظ على عادته في أن يزور عمته كل سبع سنين، إذ لم تمر سوى ثلاثة أشهر حتى عاد. صاحت المرأة مداعبةً وقد رأته عائداً بسرعة: «أنت، أيها الوغد!». أمّا الفتاة فقد قالت لها: «لقد عاد بسببك، عندما تحضرين الطعام فلتوقعي الطبق».

جلسوا لتناول العشاء، وعند دخول الفتاة بالطعام تعثرت فانقلب الطبق وسقط. استشاط غضب المرأة ووبخت الفتاة بقسوة لخَرَقِها وارتباكها بحضور ضيفهم، وكادت أن تضرب الفتاة لو لم يحُل دونها الشاه، متوسلاً إياها أن تصفح عن الفتاة المسكينة. وقليلاً قليلاً هدأت المرأة–العفريتة متظاهرة بأن ذلك لم يكن سهلاً عليها.

ومرةً ثانية، رحل الشاه. ولما ذهب، قالت المرأة للفتاة: «لم يعد يحتمل البقاء طويلاً بعيداً عن هنا، لسوف يعود حتماً عما قريب، وحين يجيء، افتحي له الباب وأخبريه من أنتِ. ثم ارتدي الثوب الذي ارتديته عندما كنتِ معه وخذي الطفل معك».

وبينما تتطلع ذات يوم من النافذة، أبصرت الشاه يوسف يقترب نحو البيت. أسرعت ترتدي ملابسها، وجرت مع ابنها ليستقبلاه. ولما أبصرها ترتدي الثوب الذي ارتدته وهي في القصر، عرف الشاه أن المرأة هي زوجته وأن الولد هو ابنه. وبخجلٍ وحياءٍ نظر أولاً إلى الفتاة، ثم إلى الطفل. تركت الولد وقفزت إلى حضن زوجها، وبدموع الفرح باتحادهما أخبرته بكل ما حدث لها في أثناء انفصالهما.

عندها بحث الشاه يوسف عن عمته، وقبَّل يديها، ناشدها أن تسمح له بأخذ زوجته وطفله. قالت له: «خذها وكن سعيداً، لقد عانت الكثير».

امتلأت قلوبهم بالبهجة وهم يغادرون صوب قصر الشاه يوسف. وعند وصولهم استُقبلوا بالاحتفالات الصاخبة لأن الشاه طوال سنواته السبع لم يمكث في قصره بل ظل يهيم على وجهه في الأرض. احتفل الناس بعودتهم طوال أربعين

يوماً وأربعين ليلة يمرحون ويلهون ويطربون. دعا الشاة يوسف حَمَاه وابنتيه وأقاموا معه في القصر، وعاشوا جميعاً في سعادة بقية حياتهم.

التنين الأسود والتنين الأحمر

تعرَّض أحد السلاطين لسوء حظ عظيم إذ كان أطفاله يموتون كلما بلغ عمرهم السابعة. وقد أدى حزنه بسبب هذا الشر المرعب إلى فقدانه اتزانه. قال: «أربعون طفلاً ولدوا لي، كلُّ واحدٍ منهم أجمل من الآخر لدرجة أنني لم أتعب في التمييز بينهم. أوه، لو أن ذلك الطفل قد بقي لي! كان الأفضل لي ألاّ أحصل على أحدٍ منهم، بدلاً من أن يسبِّب كلٌّ منهم مثل هذا الحزن الرهيب». ما أكثر ما فكر في فقدان أولاده، ولما لم يعد يحتمل المزيد، ترك قصره في الليل وراح يهيم دون هدى من دون أن يدري أحدٌ أين ذهب.

عندما طلع ضوء الصباح، كان قد ابتعد كثيراً عن عاصمته. وصل أخيراً إلى نبع وكان على وشك أن يتوضأ ليصلي صلاة الفجر فلاحظ ما بدا غيمة سوداء في السماء تتحرك نحوه. ولما صارت قريباً منه تبين أنه سربٌ من أربعين طيراً تهدل وتغرِّد وهي تحط عند النبع. ولما شربت من ماء النبع قالت: «حليب الأم لم يكن من نصيبنا. لذا يصير علينا أن نشرب من ماء الجبل. لا الأب ولا الأم اهتّما بأمرنا».

عندئذٍ قال آخر: «وحتى لو اهتمّا بأمرنا، فإنهما لا يدريان أين نحن».

طارت الطيور بعد أن قالت هذه الكلمات. غمغم السلطان يحدث نفسه: «أيتها الطيور المسكينة! حتى هذه المخلوقات الصغيرة تحزنُ لغياب أهلها».

وبعد أن توضّأ وصلى كان ضوء الصبح قد انبلج وملأت البلابل الفضاء بتغريدها الصدّاح. ولما كان قد ظل الليل بطوله يسافر، لم يعد يقدر على البقاء صاحياً من شدة الإعياء فغرق في النوم مع أن عقله ظل مشغولاً بأطفاله المفقودين. وفي الحلم أبصر درويشاً يقترب منه. طلب منه السلطان أن يجلس إلى جواره وجعل القادم يشعر أنه صديقه الحميم وأمين أسراره. عرف الدرويش ما الذي حل بأطفال السلطان، وقال: «لا تحزن، يا سلطاني، فعلى الرغم من أنك لا ترى الأطفال ولكنهم يرونك. إن الطيور التي قدِمت إلى النبع حين كنت تصلي هي الأطفال. لقد سرقهم الجن، ومقرهم يبعد عن هنا مسافة سنة. إنهم يستطيعون أن يطيروا، إن هم أرادوا ليس فقط إلى هنا، بل حتى إلى القصر، لكنهم يخشون العفاريت. عندما ترحل من هنا، اشرب من النبع كما يشرب الحمام، وسيعيد الله لك أطفالك».

استيقظ السلطان من نومه، تفكّر قليلاً، وتذكّر كلمات الدرويش الذي رآه في حلمه، وقرَّر أن يثني خطواته باتجاه النبع. يا للمشهد الذي رأته عيناه هناك! كان الدم يتدفق من النبع. تعجَّب منزعجاً إن كان لا يزال نائماً أم مستيقظاً. وظهرت الشمس الآن في الأفق، فاقتنع أن ذلك لم يكن حلماً. أغمض عينيه، وسيطر على بغضه، وشرب من النبع الدامي كأنه ماء زلال، ثم استدار إلى اليمين وأسرع يحث خطاه.

وعلى حين غرةٍ لاح له ما بدا جيشاً جرَّاراً يتقدّم في صفوف منظمة في ميدان المعركة. ومن دون أن يدري إن كانوا أعداء أو أصدقاء، تردَّد في التقدم، لكنه قرَّر في الأخير أن يسير إلى الأمام ليخوض المغامرة. وعند اقترابه من الجيش دُهش أن وجده جيشاً من التنانين من كل حجم، كان أصغرها بحجم الجمل.

«وا أسفاه!» هكذا جأر «من يدري أن ما حسبته حلماً لم يكن سوى سحر وشعوذة! ما الذي عليَّ أن أفعله الآن؟ إن أنا تقدمت فلا شك أنني سأُمزَّق إرباً، كما أنني لا أستطيع أن أتراجع من دون أن يبصروني». تضرَّع إلى الله لإنقاذه من الخطر الذي يتهدده.

مهما يكن، فإن ما حدث هو أن كل تلك التنانين كانت مولودة حديثاً، وكان أكبرها لا يتجاوز بضعة أيام من العمر. ما من واحدٍ منها كانت عيناه مفتوحتين. لذا كانت كلها تتجوَّل على غير هدى، لا تدري طريقها إلى البيت، مع أنها بقيت مجتمعة بالغريزة. هذا الاكتشاف كان مُطَمئناً جداً للسلطان فأبقى بينه وبينها مسافة كافية ثم واصل طريقه بدون أن يتحرش بها.

حل الظلام، وفي حين مضى في طريقه بين الجبال، كاد صوت مريع يصمُّ أذنيه. لقد كان صوت العفريتة–الأم تنادي أطفالها الضائعين. انتاب السلطان الرعب عندما وقع بصره عليها، فصاحت: «أخيراً ظفرتُ بك، لقد وقع أطفالي مرضى في يديك، لن تفلت مني، أنت الذي ذبحت ألفاً من ذريتي».

ردَّ السلطان وهو يرتعش أنه قد رآهم فعلاً، لكنه لم يمسسهم بأي أذى، وأنه ليس صياداً ولا يفكر بأذية أي أحد. قالت له: «إن كنت تقول الحقيقة، قل لي في أي اتجاهٍ ذهب أطفالي».

شرح لها السلطان أين وجدهم، وهكذا أحالته التنينة العجوز إلى صندوق تبغ، ووضعته تحت حزامها. ثم حملته معها وذهبت تبحث عن أطفالها الضائعين، وبعد وقت قصير وجدتهم في أمنٍ وسلام.

ساقت العفريتة الأم أطفالها أمامها إلى البيت، أما السلطان فكان لا يزال علبة تبغ تحت حزامها. وقليلاً قليلاً أبصروا أسوار القلعة الأربعة تنتصب في وسط الصحراء. أخرجت سوطاً من تحت حزامها وفرقعت به سائطةً الأسوار فانهارت وخرج على إثر ذلك تنِّين أضخم من بين الأنقاض. كشفت الأسوار المنهارة عن سرايا بديع فدخلاه وحوَّلته التنينة الآن إلى هيئته الأولى وأخذته إلى أحد الأجنحة وقالت له: «يا ابن الإنسان، لماذا جئت إلى هنا؟ إني أرى أن ليس لديك أي نوايا شريرة».

ولما حكى السلطان قصته قال التنين: «هذا الأمر يمكن إصلاحه ببساطه. أطفالك كلهم هم في قصر الياقوت وهو مكان بعيد، وإن أنت ذهبت لوحدك فمن العسير أن تفلح في مهمتك. بعد أن تعبر الجبل ستصل إلى صحراء حيث يعيش فيها أخي، أطفاله هم أكبر من أطفالي وهم يعرفون المكان جيداً. اذهب إليه وقدِّم له تحياتي وأطلب منه مرافقتك إلى قصر الياقوت».

استأذن السلطان بالرحيل ومضى. وقد استغرق وصوله إلى المكان المطلوب وقتاً طويلا. عبر الجبل ثم أبصر الصحراء وبعد اجتياز جزءٍ منها أبصر سرايا أكبر من تلك التي غادرها.

وقف في البوابة تنينٌ هو أضخم مرتين من التنين الأول، وعلى بعد ألف خطوة بدت عيناه مغمضتين، لكن شعاعاً ملتهباً ومض من الفتحتين الضيقتين وكان يكفي لإحراق أي إنسان يمكن أن يقترب منه. عندما أبصر السلطان ذلك، قال يحدث نفسه: «لقد دنت ساعتي الأخيرة دون ريب». وبأعلى صوت صاح ناقلاً للتنين تحيات أخته إليه. ولما سمع كلمات التحية فتح عينيه فبدت المنطقة كلها مغلفة باللهب. لم يستطع السلطان أن يحتمل ذلك المشهد، فجرى إلى الخلف، وقد بدا للتنين بحجم البرغوث ولا يستحق مجرد التفكير فيه.

رجع السلطان إلى التنينة الأم وحكى لها تجربته المرعبة، فقالت له: «لقد نسيت أن أخبرك أنني أدعى التنينة السوداء، وأخي التنين الأحمر. عد وقل إن التنينة السوداء ترسل تحياتها، وبما أن اسمي غير معروف لأحد، فسيعرف أخي أنني أرسلتك عندئذٍ سيدير ظهره لك ويمكّنك من الاقتراب منه من دون خطر، لكن احذر أن تقف أمامه وإلا وقعت ضحية نظرة عينيه المخيفتين».

انطلق السلطان الآن إلى التنين الأحمر، ولما وصل المكان صاح بصوته ناقلاً التحيات بقوله: «الأخت، التنينة السوداء ترسل لك تحياتها!».

وفي الحال أدار الحيوان ظهره نحو السلطان، فاقترب منه وحكى له رغبته في الذهاب إلى قصر الياقوت. أخذ التنين سوطاً من تحت حزامه وصمَّ الأرض بفرقعته حتى بدا أن الجبل انفلق إلى اثنين. وبعد لحظةٍ قصيرة، رأى تنّيناً أكبر بكثير يقترب نحوه ولما اقترب شعر بالحرارة التي تتقد في عينيه الهائلتين. هذا التنين أدار أيضاً ظهره نحو السلطان. قال التنين الأحمر: «يا بني، إذا ما دخلت قصر الياقوت الأزرق، اصرخ قبل أن تدخل: «لقد أرسلني التنين الأحمر!» حينها سيظهر جنيّ، وهذا هو الجني الذي سرق أطفالك. حين يسألك عمّا تريد، أخبره أن التنين العظيم يطلب ملكية أكبر الأطفال المسروقين. فإذا رفض، اطلب منه الأصغر. وإن هو رفض ثانية، أخبره أن التنين الأحمر يطلبه هو. لا تقل شيئاً آخر غير هذا، بل عد بسلام إلى هنا».

ركب السلطان الآن ظهر التنين الذي استدعاه التنين الأحمر، وانطلقا. عندما رأى السلطان قصر الياقوت الأزرق من بعيد، صاح بكل قوته: «التحية من التنين الأحمر». اهتزت الأرض من قوة الصوت، وبدا وكأن السماء توشك أن تقع على الأرض. وعلى الفور ظهر جنيّ بشع المنظر بشفتين لهما شكل المروحة، وكان يمسك بيده عصاً هائلة. خطا إلى الخارج يستفسر

عن الأمر. قال السلطان: «التنين الأحمر يطلب أكبر الأطفال المسروقين». ردَّ الجني: «الأكبر مريض».

«إذن أرسل الأصغر».

«لقد ذهب لجلب الماء».

قال السلطان: «إن كان هذا الأمر هكذا، فإن التنين الأحمر يطلبك أنت».

قال الجنيّ: «أنا ذاهب إلى القصر». ثم اختفى.

عاد السلطان إلى التنين الأحمر وأخبره كيف نفَّذ رسالته. في تلك الأثناء، خرج الجنيّ وفي كل يدٍ عصاً غليظة، وله قبقاب خشبي يبلغ ثلاث ياردات، وعلى رأسه طاقيةٌ عالية مثل منارة. ولما رآه التنين الأحمر، قال: «ها، ها أنت ذا، يا عزيزي، يا صاحب قصر الياقوت؛ أطفال هذا السلطان عندك؛ كن طيباً بما يكفي، ودع أطفاله».

«إنَّ لي طلباً، فإذا لبّاه السلطان أعدت له أطفاله. منذ عشر سنين سرقتُ ابن سلطان ما، وعندما بلغ الثانية عشرة من العمر، سُرِق مني بواسطة امرأةٍ–عفريتة تدعى بورسُك. وهي ترسل

الولد كل يومٍ إلى النبع لجلب الماء، وتعطيه كعكة رماد ليأكلها، وتجبره على شرب كأس من الدم البشري. فإن استطعتُ استعادة هذا الفتى، فلا أريد أي شيءٍ آخر، لأني لم أر في العالم أجمع فتىً جميلاً مثله. إن لـبُورسُك هذه ولداً يحبني، وقد يلحق بي الشر لأني لن أتبنّاه بدلاً من الولد المسروق. أنا أعرف أن أطفال هذا السلطان شجعان وجميلون، وقد سرقتهم لأخفّف معاناتي. فمُره أن يحقق لي رغبتي، وسأحقق لك رغبتك».

قال الجنيّ هذا، ومضى.

فكر التنين الأحمر قليلاً، ثم تحدث كما يلي: «لا تخف، يا بني. بورسُك هذه ليست شجاعة مع أنها بارعةٌ في السحر. ليس من الممكن التغلب عليها بالسحر، لكنها عادة لا تشتغل بالسحر يوماً واحداً في السنة، لهذا يمكن التغلب عليها في ذلك اليوم بالذات. إن عليك أن تنتظر شهراً، وسأكتشف خلاله ذلك اليوم ثم أخبرك به».

وافق السلطان على هذا، وأرسل التنين الأحمر أولاده ليكتشفوا ذلك اليوم المحدد الذي لا تشتغل فيه العفريتة بالسحر. ولما عادوا بالمعلومات المطلوبة، بُلّغ بها السلطان وأخبر بذلك اليوم المحدد الذي تنام فيه العفريتة. نصح التنين الأحمر

السلطان بقوله: «عندما تصل سيجيء الفتى الذي تحتجزه لجلب الماء من النبع. خذ طاقيته وضعها على رأسك: حينها سيعجز عن الحراك، وتفعل به أنت ما تشاء».

بعد ذلك أرسل التنين الأحمر في طلب أبنائه، وأمرهم أن يرافقوا السلطان إلى نبع العفريتة بورسُك، ثم ينتظروه هناك حتى يفرغ من مهمته ثم يعودوا معهما بأمان.

وصلوا إلى النبع وأخفوا أنفسهم جميعاً حتى جاء الفتى طلباً للماء. وبينما هو يملأ جرته قفز السلطان فجأة والتقط طاقيته ووضعها على رأسه هو، وفي الحال عاد إلى مخبأه. نظر الفتى حوله، فلم ير أحداً ولم يكد يعرف ما حدث، فانقضَّت عليه التنانين الفتيَّة، وأسرته وقادته مع السلطان أسيراً إلى التنين الأحمر.

خبط التنين الأحمر الأرض بسوطه فأحضر جنيّ قصر الياقوت إلى بين يديه. وما أن أبصر هذا الولد حتى هرع إليه يعانقه ويقبله، ويعبِّر عن امتنانه للأصدقاء الذين استعادوه. وصفق هو بدوره بيديه وخبط الأرض بقدميه، وعلى الفور حلَّق أربعون طيراً تغرد بمرح. أخرج الجنيّ من تحت حزامه قنينة وأخذ يرش ما فيها على الطيور، ويا للعجب! تحوَّلت الطيور كلها إلى أربعين

فتاة جميلاتٍ فاتنات، اصطففن واقفات منتبهات. قال الجنيّ: «والآن، يا سلطاني، انظر إلى الأطفال! خذهم، وكن سعيداً بهم، واغفر لي ما سببته لك من معاناة».

لو أن أحداً قد طلب من السلطان في تلك اللحظة أعظم الكنوز لمَنحه عن طيب خاطر، فقد غمرته السعادة إلى أبعد حد باستعادة أطفاله. غفر ببساطة لجنيّ قصر الياقوت، بل كان مستعداً لأن يكافئه بأي شيء يريده.

بعدها ودّع السلطان التنين الأحمر. وفي لحظة الوداع، سحب التنين الأحمر شعرةً من خلف أذنه وسلّمها للسلطان قائلاً: «خذ هذه، وإذا ما وقعت في أي صعوبة من أي نوع، اقطعها نصفين، وسأهرع إلى مساعدتك».

وهكذا انطلق السلطان بصحبة أطفاله. وصل في الوقت المعلوم إلى مقر التنينة السوداء. وأخذت هي أيضاً من خلف أذنها شعرة وسلمتها إلى السلطان ونصحته بما يلي: «زوّج أطفالك في وقت واحد، وإذا ما أحرقتها وبخّرتهم بها في يوم عرسهم، فسيكونون أحراراً من سيطرة العفريتة بورسلك إلى الأبد».

عبَّر السلطان عن امتنانه وودَّع التنِّينة السوداء وداعاً حاراً، ثم مضوا أجمعين في طريق عودتهم.

وفي طريق العودة، راح السلطان يرفِّه على أطفاله بقص مغامراته عليهم، ثم استمع من أبنائه وبناته إلى مغامراتهم. وفجأة هبَّت عاصفةٌ مريعة. وما من أحدٍ منهم استطاع أن يخمِّن ما يمكن أن يكون عليه مصيرهم، ولذا انتظروا جميعاً في توقُّع مريع. وأخيراً، صاحت إحدى الفتيات: «يا أبي، وسلطاني، لقد سمعت الجنيّ يقول إن العفريتة بورسك كلما مرَّت تكون مصحوبة بعاصفةٍ كهذه. وأنا أعتقد أنها هي التي تمرُّ الآن، ولا أحد غيرها».

استجمع السلطان شجاعته وسحب شعرة التنين الأحمر وقطعها نصفين. وفجأةً سقطت العفريتة بورسك في الحال من السماء محدثةً دوياً قوياً، وفي اللحظة ذاتها ظهر التنين الأحمر يتأرجح ويفرقع بسوطه. ولوحظ أن العفريتة كانت قد كسرت ذراعيها وهشمت أنفها وصارت عاجزة تماماً عن إنزال أي أذى بهم أو ارتكاب أي حماقة.

كان السلطان في غاية الخوف من أن يفقد أياً من أطفاله مرةً ثانية، غير أن التنين الأحمر قال له: «لا تخف، يا سلطاني، خذ هذا السوط».

تناول السلطان السوط، وفرقعه فشعر بارتفاعه في الهواء. ولما هبط إلى الأرض ثانية وجد نفسه خارج بوابات مدينته تماماً. قال له التنين الأحمر وهو يختفي: «إنك الآن في أمان تام».

وبمرأى القباب والمنارات والأسوار المألوفة لمسقط رأسهم، بكوا كلهم من الفرحة.

وتخلص السلطان من قصر نواحه المتواصل، واستحال الغمُّ إلى بهجة فائقة، ووفد الآن كل السلاطين والحكام ليباركوا سلطانهم بعودة أطفاله. مضت السلطانة تعانق صفّ أولادها وبناتها وتقبلهم. وأمر السلطان بإقامة الاحتفالات والقصف والمرح لسبعة أيام وسبع ليال ابتهاجا بالحدث السعيد.

وما كادت هذه الاحتفالات تنتهي حتى كانوا قد عثروا للأولاد والبنات العائدين على زوجات وأزواج واستأنفت احتفالات الأعراس البهيجة لأربعين يوماً وأربعين ليلة.

ولسوء الحظ، نسي السلطان في يوم العرس أن يبخّر كل أبنائه وبناته بإحراق شعرة التنينة السوداء فكانت النتيجة أن الريح العنيفة بدأت في الهبوب بقوةٍ وعنف وسقطت الأمطار الغزيرة حتى لم يكن هناك من شيء قادرٍ على الصمود في وجهها. ظن

السلطان في البداية أنها كانت مجرد عاصفة قوية، لكنه تذكَّر لاحقاً العفريتة بورسك، وصاح مرعوباً. سمع صوته في أرجاء السرايا، فجاء النزلاء، بمن فيهم الأمراء والأميرات الذين احتفلوا بزواجهم، ليروا ما الخطب. أعطى السلطان شعرة العفريتة السوداء إلى الوزير وأمره أن يحرقها على الفوز. ما من أحدٍ فهم الأمر وظنوا جميعاً أن السلطان قد فقد عقله، ومع ذلك فقد لُبِّيَ طلبه وأحرقت الشعرة. سرعان ما سُمِعَ صوتٌ مريع في الحديقة وصاحت العفريتة بورسك بصوتٍ عال: «لقد أحرقتني، أيها السلطان! ولذلك فلن تنمو في الحديقة أي نبتة عشب».

وفي صباح اليوم التالي، شوهدت الأشجار والأزهار كلها محترقة كأن حريقاً قد شبَّ فيها فالتهم كل شيء.

مهما يكن، فلم يسمح السلطان لهذه الخسارة أن تزعجهم، فهو قد استعاد أطفاله جميعاً، وهذه الفرحة وحدها حجبت ما عداها من أي سوء حظ حلَّ بهم. شرح لبطانته كل شيء، فلم يكادوا يصدقون ما سمعوه لما اشتمل عليه من عناصر إدهاش لكل من سمعه. وكانت تلك هي نهاية كل خوف ومعاناة، وهكذا عاش السلطان وأسرته زوجاتٍ وأزواج مجتمعين في سعادةٍ تامة حتى آخر أيام حياتهم.

معجون

عاش ذات فتى أصلع الرأس هو وأمه التي صارت في أرذل العمر. تمنَّت المرأة أن يتعلم ابنها التجارة، لكنها حيثما وضعته ليتعلم التجارة كان يهرب دائماً. وذات يوم ألقى نظرةً خاطفة على ابنة السلطان، ومنذ تلك اللحظة لم يعد يستطيع أن يفكر بأي شيء آخر غير الأميرة. ذهب إلى البيت وقال لأمه: «اذهبي إلى السلطان واطلبي منه أن يزوجني ابنته».

دهشت أمه وقالت: «لماذا، يا ولد، فأنت لا تملك حتى خمس بارات، ولا تعرف المتاجرة بشيء! هل تظن أن السلطان سيزوج ابنته لأحمق مثلك؟».

وتحت إلحاح الفتى وإصراره، رأت الأم أن الولد لن يقنع إلا إذا هي ذهبت إلى السلطان لتتحدث إليه باسم الولد.

ولما وجدت نفسها بين يدي السلطان، قالت: «يا مولاي! إن لديَّ ولداً يتعبني وينكِّد عليَّ كل يوم بإلحاحه عليَّ أن آتي

إليك وأطلب منك أن تزوجه ابنتك. ما عدت، يا مولاي، قادرةً على احتمال إزعاجه وإلحاحه، ولذلك جئت إليك. اذبحني أو اشنقني، أو افعل بي ما بدا لك».

أجاب السلطان: «أرسلي ابنك إليَّ». ثم صرفها.

عادت إلى البيت وأخبرت ابنها أن السلطان يريد أن يراه. وعندما وصل إلى القصر رأى السلطان باستهجان أنَّ الولد أصلع، فقال له وهو يريد أن يتخلَّص منه: «سأزوجك ابنتي إن استطعت أن تجمع في هذه البقعة كل طيور الأرض».

خرج الفتى مدحوراً من السرايا، وانغمس في تفكير عميق وهو يخشى أن يأمر السلطان بإعدامه. وأخيراً عزم على الرحيل.

وبعد عدة أيام من الهيام والتجوال، قابل درويشاً فحكى له محنته. أصغى إليه الدرويش بصبر ثم قال: «اذهب إلى مكان ما فيه شجرةٌ سرو طويلة واجلس تحتها. وكل الطيور في العالم ستجيء وتحط هناك، وليس عليك إلا أن تنطق بكلمة معجون! لتجعلها تلتصق بشدةٍ إلى الشجرة. بعدئذٍ، اجمعها كلها وخذها إلى السلطان».

شكر الفتى الدرويش لنصيحته المفيدة، ومضى في طريقه حتى وصل إلى المكان المذكور، حيث جلس ليستريح تحت شجرة السرو. انتظر حتى حطت كل طيور العالم هناك، عندئذٍ قال: «معجون!»، فلم يستطع طائرٌ واحد أن يطير. جمع الولد العصافير وعاد إلى البيت. وفي صباح اليوم التالي حمل طيوره الأسيرة إلى حضرة السلطان. لم يكن السلطان سعيداً على الإطلاق وهو يبصر المهمة التي حسبها مستحيلة قد أنجزت. قال: «والآن، اذهب واعثر لرأسك الأصلع على غطاء من الشعر، وعندئذٍ سأزوجك ابنتي».

خاب أمل الفتى إلى أبعد حد، فخرج وأمضى أياماً يفكر تفكيراً عميقاً. وفي تلك الأثناء خطب السلطان ابنته إلى أحد أولاد وزيره، وسرعان ما بدأت الاستعدادات للزواج. سمع الولد وذهب في ليلة العرس إلى السرايا اختفى في السطح وبالذات، فوق سطح الغرفة المخصصة لنوم ابن الوزير وعروسته. وما إن رآهما يدخلان، حتى تلفَّظ بكلمة: «معجون!» فلم يعودا قادرين على تحريك أي شيء حتى جفونهما.

انقضى الليل، وطلع الصباح، ثم انقضى النهار ولم يخرج العروسان، فذهب أحد الخدم، وتلصص من خلال شقٍّ في باب

غرفتهما، وحاول أن يتبيَّن إن كان أي شيء قد حدث لهما. ولما رأى أصلع الرأس هذا، صاح: «معجون!»، فوجد الخادم نفسه غير قادرٍ على الحراك في بقعته التي يقف فيها.

باختصار، جاءوا إلى باب الغرفة الواحد بعد الآخر حتى اجتمع كلٌّ من في القصر إلى هناك ولُفِظَت كلمة «معجون!» فتسمروا جميعاً في أماكنهم بلا حراك.

تحيَّر السلطان ولم يستطع أن يفهم شيئاً عن معنى هذه، فأرسل في طلب كاهن معيَّن يمكنه حتما أن يساعده في هذا الأمر الغريب.

نزل الفتى من مكمنه في السطح، وانسل خلف رسل السلطان. وفي الطريق دخلوا دكان الجزار ليشتروا بعض اللحم، ولما وضعوا أيديهم على جسد الذبيحة ليشيروا إلى ما يريدون، لحق بهم الفتى الأصلع ونطق «معجون!»، فوجدوا أنفسهم جميعاً ملتصقين باللحم لا يقدرون على الفكاك.

ظل السلطان ينتظر بنفاد صبر عودة الرسل، وتصاعد غضبه لتأخرهم. ولما لم يعد قادراً على مزيد من الانتظار، خرج هو نفسه للبحث عنهم. مرَّ بدكان الجزار، وكم كانت دهشته أن

وجد الخدم كلهم وقد التصقت أيديهم بقطع اللحم، فصاح: «يا الهي الرحيم! ما هذا؟» ثم جرى ليأتي بالعراف. وعندما وصل هذا الأخير قال: «يا مولاي، لقد وعدتَ أن تزوج ابنتك فتىً أصلع، ولما لم تنجز وعدك، فإنه هو السبب في كل هذا».

سأل السلطان: «وما الذي يجب فعله؟».

أجاب العراف: «لا شيء يمكن فعله سوى أن تزوجه ابنتك».

رجع السلطان إلى قصره واستدعى الفتى إليه. وما إن سمع الفتى بأن الخدم يبحثون عنه أسرع إلى البيت وقال لأمه ما يلي: «إن جاءوا يطلبونني، قولي إني لست موجوداً في البيت وإنكِ لم تريني منذ وقت طويل. وإن هم سألوا أين يمكنهم أن يجدوني، أجيبيهم أنك ستتولى العثور عليَّ مقابل قطع ذهبية كثيرة جداً».

ولم يكد يفرغ من قوله هذا، حتى سُمِعت طرقات عنيفة على الباب. فتحت العجوز، وسئلت إن كان الفتى الأصلع في البيت، فأجابت كما قال لها ابنها.

فسأل الرسل: «لكن أين يمكننا أن نبحث عنه. السلطان يريد منه أن يمثُل بين يديه، ويتزوج ابنته».

بسماعها لهذه الكلمات، تزايد اهتمام العجوز، قالت: «لكني لا أدري إلى أين ذهب، إنَّما أعطوني ألف قطعة ذهبية وسأعمل جهدي للعثور عليه».

دُفِع المبلغ المطلوب، وقال لها رسل السلطان: «اذهبي، إذن، وأحضريه وسوف تتلقّين المزيد».

وبعد بضعة أيام، ظهر الفتى الأصلع في القصر واقتيد إلى حضرة السلطان. وما إن رآه السلطان حتى حيّاه بود قائلاً: «يا بني العزيز! لقد انتظرتك طويلاً. أين كنت طوال ذلك الوقت؟».

أجاب الفتى: «أيها السلطان! لقد طلبت منك ابنتك، لكنك لم تزوجنيها، فرحت أهيم في الأرض».

ومن دون تأخير، استدعى الوزراء، كما أرسل في طلب الأميرة، وخطب الاثنان في احتفالات بهيجة. عندئذٍ ذهب الفتى الأصلع، بعد أن حقق غرضه، إلى كل أولئك الواقعين تحت تأثير الرقية والعاجزين عن الحركة. وقال: «فلتطلقوا من معجون!»، فتحرروا على الفور، وأخذوا يتقافزون ويثبون فرحاً.

أمّا ما كان من شأن ابن الوزير الذي زُوِّج إلى الأميرة، فما إن تحرَّر حتى جرى بعيداً، ولم يره أحدٌ بعد ذلك. تزوجت الأميرة الآن من الفتى الأصلع، وعاشا في سعادة دائمة.

الأميرة المهجورة

عاش أحد السلاطين في الزمان الغابر وكان له ابنة واحدة، راح يسرف في حبه لها، ولا يشعر بالسعادة ما لم تكن إلى جواره. وفي أحد الأيام، وكانت الأميرة قد بلغت سنتها الخامسة عشرة، قال لها السلطان: «يا طفلتي، هل ثمة من شيء ترغبين فيه مني؟».

قالت: «نعم، يا أبي. دع أمي تمسك لي الحوض عندما أغسل يديَّ ووجهي كل صباح، وأنت تمسك المناشف منتظراً حتى أفرغ».

لم يكن مثل هذا الطلب متوقعاً، فغضب السلطان، وأمر أن تُعدَم الأميرة في الحال. غير أن الجلادين أشفقوا عليها، وبدلاً من قطع رأسها، أخذوها إلى قمة جبل وتركوها هناك.

مهجورة هكذا، أخذت الفتاة تفحص المكان من كل جانب، ثم مضت في اتجاه بعينه. ظلت تهيم في الجبال

والوديان وتجتاز السهول حتى وصلت إلى جبل آخر أبصرت فيه قصراً. وحين صعدت إليه فتحت البوابة ودخلت ولم تجد أحداً. دخلت إلى المطبخ وأبصرت خروفاً مذبوحاً معلقاً في الجدار. فكرت: «والآن، لابدّ من أنَّ أحداً يعيش هنا ما دام الخروف معداً للطبخ».

قطعت الخروف ووضعته في التنور لتطبخه، وبعد أن فرغت وضعته في أطباق وأدخلتها الدولاب. عندئذٍ أخذت ترتب الغرفة، مالئةً الموقد بالنار، وأعدت القهوة وفرشت المائدة.

وقبل حلول الظلام سمعت وقع أقدام تقترب، فأسرعت تخفي نفسها قبل أن يُفتح باب السرايا، ويدخل مخلوقٌ هو نصف إنسان ونصف عفريت. ارتعشت الفتاة خوفاً من منظر ذلك المخلوق، ولم تستطع أن ترفع بصرها عنه. ذهب مباشرة إلى المطبخ ولاحظ أن الخروف قد طُبِخَ ووُضِع في الدولاب. ونظر إلى غرفته فوجد الموقد ممتلئاً بالنار، والغليون والقهوة في انتظاره. كان كل شيءٍ في موضعه في أحسن صورةٍ ممكنة. عندما أبصر العفريت العجوز كل هذا شعر بالغبطة والامتنان لذلك الذي قام بهذا العمل كائناً من كان. جلس مستريحاً وأشعل غليونه وشرب قهوته، ثم أخذ يفكر بصوتٍ عالٍ: «أياً كان من دخل إلى هنا، إن

كان ذكراً فسيكون ابني، وإن كانت أنثى فستكون ابنتي. فليأتِ أو فلتأتِ إليَّ، ولن يصيبهما أي أذى».

سمعت الفتاة هذه الكلمات وخرجت من مخبئها واقتربت منه مذعورة، فابتسم العفريت لمّا وقع بصره عليها، وقال: «إليك بركاتي، يا طفلتي! من أنتِ؟ من أين أتيت وإلى أين أنت ذاهبة؟» أجابته: «أنا وحيدة في هذه الدنيا أهيم في الجبال. وقد وجدت هذا المكان بالصدفة».

عندئذٍ قال العفريت: «يا طفلتي! أنت ستكونين ابنتي مدى الحياة. أنا عجوز وحيد. هذه السرايا لكِ. لا تخافي. ولكن قومي بعملك اليومي، وسَرِّي عن نفسك بعد الظهر».

جلسا معاً لبعض الوقت ثم ذهب كلٌّ منهما ليستريح.

في صباح اليوم التالي، نهضت باكراً، وعندما شرب العفريت قهوته ودخن غليونه، وتناول فطوره، قال لها: «يا طفلتي! أنا سأذهب الآن. هذا مفتاح، افتحي الغرفة. ثمة جني في الداخل، اخبريه أن ملابسك متسخة وسيعطيك ملابس نظيفة. ارتديها واجلسي في سلام».

قال لها هذه الكلمات ومضى.

فتحت الغرفة، ونادت: «يا أبي!» وفي الحال هب جنيّ إلى بين يديها. ما كادت تتلفظ بما أرادته حتى اختفى الجنيّ وعاد في الحال بصرةٍ من الملابس النظيفة، أخذتها الفتاة وارتدتها. وقبل أن يتركها الجنيّ، قال: «عندما تشعرين بالضجر تنزَّهي في الحديقة».

ولما فرغت من عملها، خرجت إلى الحديقة. وهناك، وبينما هي تتجوَّل بجوار البركة، أبصرت بطة جناحاها ورأسها من الماس. وما أن وقعت عينا البطة عليها، حتى زعقت: «أوه، يا قليلة الحياء! هل أتيت لتأخذي أميري؟».

وصفقت جناحيها بقوةٍ شديدة، حتى أن أحدهما أنكسر. صاحت الفتاة منزعجة: «أوه، يا لشدة أسفي! لماذا جئتُ إلى هنا؟ عندما يبصر الوالد–العفريت ما حدث سيقتلني بالتأكيد!» ثم جرت عائدةً إلى القصر.

وفي المساء، عاد العفريت، أكلا وشربا معاً. كان واضحاً أن العفريت لم يعرف بعد بما حدث في الحديقة، لذلك عندما حان وقت النوم، أوى كلٌّ منهما إلى حجرته من دون إشارة إلى الحادثة.

وفي الصباح طلب العفريت من الفتاة أن تذهب وتحضر ملابس نظيفة من الأب الجنيّ. وقد فعلت هذا بعد أن خرج العفريت، ونصحها الجنيّ، كما فعل من قبل، بأن تذهب إلى الحديقة. ولما أبصرتها البطة، صاحت، غاضبة: «هل خرجتِ بملابسك الجميلة كي تأخذي أميري؟».

ثم زعقت بصوتٍ عالٍ حتى كسرت جناحها الآخر. خائفةً من غضب الأب–العفريت، جرت الفتاة عائدةً إلى القصر بأقصى سرعة.

هبط المساء، وعاد العفريت كالمعتاد. شربا وأكلا معاً، ولما لم يشر العفريت إلى موضوع البطة، أوت الفتاة إلى حجرتها بسلام ونامت نوماً هنيئاً. وفي اليوم التالي خرج العفريت ثانية. غيَّرت الفتاة ملابسها وخرجت كعادتها إلى الحديقة. ولما رأتها البطة هذه المرة زعقت زعقةً عالية سقط معها رأسها، وماتت.

تلك البطة كانت ابنة العفريت، وكان أحد أبناء السلطان قد وقع في حبها بجنون. اعتادت هذه الأميرة أن تزور قصراً وتزور الحديقة التي تلاصق حديقة العفريت، وهكذا رآها أول مرة، ولأسبابها الخاصة بها، لم ترد أن يراها الأمير مرةً ثانية، حوَّلت نفسها إلى بطة، وراحت تداوم على السباحة في البركة. شاهد الفتى كلَّ ما حدث

وسمع الكلمات التي تفوهت بها البطة. ولما رأى أن الفتاة هي أكثر جمالاً من ابنة العفريت، أحبها بكل قلبه. أما الفتاة، من ناحيتها، لم تدر من كانت البطة، لقد حسبت أنها لم تكن سوى بطة العفريت، لذلك خافت أنه سيكون في غاية الغضب عندما يعرف ما حدث، ولسوف يقتلها بلا رحمة. لكنها حين رأت أن العفريت لا يشير إلى موضوع البطة، استجمعت شجاعتها. ومع هذا فكلما خرج العفريت كل صباح عاودها خوفها القديم خشية أن يكتشف الأمر ثم يصب جام غضبه عليها.

في تلك الأثناء، ذهب الأمير إلى أبيه وقال له: «أبي العزيز ومولاي! إن لأحد العفاريت ابنة جميلة وقد أحببتها بعمق. احصل لي عليها كزوجة، وإلا فلن أقوى على مواصلة العيش».

فكتب السلطان رسالةً إلى العفريت وأرسلها بواسطة أحد خدمه.

ولما قرأ الرسالة، أجاب العفريت شفوياً: «أخبر السلطان أن ابنتي تحت تصرفه، لكني فقيرٌ جداً، فلا يتوقع مني أكثر من ابنتي. إن هو وافق، فالخطوبة ستتم الأسبوع القادم. وقل له أيضاً، بما أني فقير جداً فما ينبغي له أن يُحضر معه أكثر من ألف شخص من الحاشية لأن هذا هو العدد الذي أستطيع أن أضيِّفه».

رحل خدم السطان وأبلغوا رسالة العفريت إلى سيدهم.

وفي صباح اليوم الموعود، أعطى العفريت الفتاة حزمةً من المفاتيح، قائلاً: «يا طفلتي، خذي هذه المفاتيح، وافتحي غرفة كذا وكذا، وصفقي بيديك وسيظهر لك الكثير من الحشم والخدم. لا تخافي منهم».

فعلت كما أخبرها تماماً، وفي وقت قصير احتشد حشمٌ وخدم من كل نوع، سودٌ وبيض، وذكور وإناث، وأخذوا يقبلون طرف ثوبها مرددين التحايا. قادتهم جميعاً إلى حضرة العفريت الذي حدَّد لهم جميعاً واجباتهم.

انفتحت بوابات القصر، ودخل السلطان وأتباعه الألف للاحتفال بالخطوبة. انتهت الحفلة، وقدِّمت مأدبة غنية، وبعدها رحل السلطان وحاشيته الهائلة. عندئذٍ أخذ السلطان الإذن بالرحيل، قال له العفريت: «عندما ترسلون لاصطحاب العروس، يا جلالة الملك، أرسل فقط خمسمئة عربة لحمل جهاز العروس لأنني فقير جداً فلا أستطيع تقديم أكثر من هذا».

ثم قدم له هدية الوداع لباساً بديعاً لكل واحدٍ من أولئك الألف الذين جاءوا معه.

وبعد أسبوع، أرسلت خمسمئة عربة إلى قصر العفريت لحمل جهاز العروس، وجاءت معها عربة السلطان لحمل العروس. غير أن العربة ذاتها لم ترض العفريت فأمر عبيده أن يحضروا لها أقل عرباته روعة لتُقِلَّ ابنته بالتبني. وأخيراً وصلت العروس في عربة بالغة الروعة لم يسبق لأحد أن رأى مثلها في قصر السلطان. أقيم احتفال عظيم بالعرس ثم تواصلت الولائم والأفراح أربعين يوماً وأربعين ليلة.

انقضى الوقت سريعاً بالنسبة للعريسين السعيدين اللذين عاشا معاً في سعادة صافية نقية. وذات يوم ذهب ولي العهد في رحلةٍ طويلة. وفي غيابه مرضت زوجته، فأرسل الخدم والعبيد في عجلة للمجيء بالأطباء. وما من أحدٍ منهم بدا قادراً على فعل أي شيء لشفائها، وظلت تعاني ثلاثة أيام كاملة من آلام مبرِّحة حتى رأوا أن من الأفضل أن يرسلوا في طلب أبيها الأب-العفريت.

أسرع العجوز إلى جانب الفتاة، وقال لها: «أمسكي بذراعي، يا طفلتي!».

ولما فعلت، يا للعجب! انكسرت الذراع كما لو كانت مصنوعة من مادة هشة، فصاحت المريضة: «آه، يا أسفي! لقد كسرت ذراع أبي العزيز!».

لكن العفريت خفَّف عنها بقوله: «لا تهتمي، يا طفلتي».

ثم استدار إلى أحد العبيد وقال: خذها وضعها في الركن». وما إن وضعها العبد في الركن حتى تحولت إلى شجرة ماسٍ نامية. ولما مدَّ يده الأخرى إلى ابنته، أمسكت بها وكانت النتيجة ذاتها، إذ انكسرت الذراع وسقطت إلى أرضية الغرفة وتحوَّلت إلى شجرة ماسٍ أخرى في الحال.

عندها قال العفريت: «أمسكي بهذه القدم».

فأمسكت ابنته بالقدم، فانكسرت، ووُضِعت في أحد الأركان وصارت مقعداً ذهبياً. وحدث للقدم الأخرى المصير ذاته. ومن دون ذراعين ولا قدمين، قال: «أمسكي رأسي يا بنيتي».

وما أن أمسكت برأسه حتى سقط رأس العفريت. فصاحت الأميرة: «أوه، يا أبي العزيز، لقد سقط رأسك!»

«لا يهم، ارميه إلى وسط الحجرة»، ردَّ عليها العفريت.

ولما فعلت، يا للعجب! بدلاً من الرأس المفصول، انتصب سريرٌ بديع لم يسبق لأحدٍ أن شاهد مثله. وسقط حينئذ جسد العفريت إلى الأرض وصار وسادة. أُرقِدت الأميرة في السرير، وسرعان

ما انتشرت أخبار الأحوال البديعة. وأقبل الناس من مسافة أميال بعيدة ليُمتِّعوا أنظارهم بمشهد المعجزة المدهشة. وكان من بين من حضروا والدا الفتاة الشابة من دون أن يكون لديهما أدنى خاطرة أنها هي ابنتهما ذاتها. وحال وصولهما كانت الأميرة وولي العهد يتناولان عشاءهما في حجرتهما. تعرَّفت الأميرة على أبويها في الحال، أمَّا هما فلم يتعرَّفا عليها. تسمرت عينا السلطان العجوز على ابنته حيث لم يملك إلاَّ الإعجاب بمنظرها. أعدادٌ لا تحصى من العبيد كانوا واقفين حولهم.

التقط السلطان العجوز منشفةً وطاسة ماء، وقال لزوجته: «دعينا أيتها السلطانة نقترب أكثر من هؤلاء العبيد. أنا سآخذ هذه المنشفة، وأنت ستصبين الماء، وبينما نفعل هذا، يمكننا أن نلقي نظرةً على الأميرة».

انتهت الوجبة، واقترب الزوجان من الأمير والأميرة وقاما بمهمة العبيد من غسلٍ وتجفيف ليدي الأميرة. وبينما كانا يفعلان ذلك، صاحت الأميرة: «يا أبي الحبيب، عندما سألتني عن رغبتي أجبتك أني أرغب أن تمسك أمي الطاسة وتمسك أنت المنشفة لي، فكنت غاضباً وطردتني من البيت والآن، انظر أي رحلةٍ طويلة قطعتها مع أمي كي تفعلا ذينك

الشيئين. ومن الواضح الآن، أن تلك الرغبة التي أفصحتُ عنها لم تكن صادرة عن رغبةٍ شخصية لي، ومن ثم فلم تكن على صواب حين طردتني».

وردَّ السلطان على هذا بقوله: «لقد كنت مخطئاً، يا بنيتي. فليغفر الله خطيئتي، وعليك أنتِ أيضاً أن تسامحيني. ها إن رغبتك قد تحققت».

وهكذا تصالح الأبوان وطفلتهما، ثم احتُفِل بهذه المناسبة السعيدة طوال أربعين يوماً وأربعين ليلة.

الحلوانية الجميلة

عاش صانع أمشطة فقير مع زوجته، وفي أحد الأيام قال لها: «أعطني بضع بارات وسآخذ حزمة أمشطتي إلى المقهى. لعلي أبيع خمسة أو ستة منها وآتي إلى البيت بالربح».

ذهب إلى المقهى، وجلس، وبينما هو يشرب القهوة ويفكر بمشكلة وضعه المتقلقل، أقبل عدد من التجار إلى المقهى وبدأوا يسألون عن صانع أمشطة. نهض صانع الأمشطة وعرض أمشطته ليتفحصها التجار. وكان من الواضح أن بضاعته كانت مُرضية، لأنه إلى جانب استمالته الكل، قد ظفر بطلب يصل إلى ألف مشاط. عاد صانع الأمشطة إلى بيته مسروراً من توفيقه، وخلال شهرين كانت الألف مشاط جاهزة للتسليم. أخذها إلى التجار واستلم الثمن المتفق عليه مع هدية ملائمة لإتمام الصفقة.

لم يعد صانع الأمشطة فقيراً بعد الآن - لقد صار فعلاً رجلاً ثرياً، فاقترح على زوجته أن يذهبا للحج وزيارة قبر النبي في

الحجاز. قالت زوجته: «نعم، فلنذهب، لكنا لا نستطيع أن نأخذ ابنتنا معنا». قال: «سنتركها في رعاية المعلم. إنه شخص عطوف جداً ومستعدٌ للمساعدة».

وهكذا رُتِّب الأمر، وأخذا يستعدان لرحلتهما الطويلة، وأخذا معهما ابنهما الصغير وتركا البنت في يدي المعلم الكريمتين (كما اعتقدا). حقيقة الأمر كانت أن المعلم الذي ترك الزوجان ابنتهما في بيته كان يشعر بالحسد من نجاح صانع الأمشطة، وطالما ودَّ في السر أن يؤذيه. وها هي الفرصة قد واتته الآن، فعزم على قتل البنت التي تُرِكت في عهدته، لكنه أراد أن يظهر موتها وكأن مجرد حادث عرضي. كانت العادة في تلك البلاد أن يذهب كل واحدٍ إلى حمامات المدينة الجميلة، ففكر أنه سيكون من السهل أن يُدخِل الفتاة إلى أحد تلك الحمامات ويغرقها بصمت.

ذهب إلى الحمام، ودس قطعتين ذهبيتين في يد المسؤولة عن الحمام وأغراها أن تقنع البنت بالاستحمام هناك. وهكذا، ظهرت امرأة الحمام في اليوم التالي في منزل المعلم، وقالت للبنت: «لماذا لا تذهبين إلى الحمام بين الحين والآخر؟».

أجابت البنت: «لأن لا أحد معي يرافقني».

«تعالي معي، إذن وسوف أساعدك».

وهكذا ذهبتا معاً إلى الحمام. اصطحبتها المرأة إلى غرفة الحمام الحارة، ثم استدعت المعلم. ولما أبصرت البنت المسكينة الرجل بدأت تفهم أنها قد وقعت في شرَكٍ ما، لكنها عزمت على ألا تأتي بأي حماقة، فحيَّت المعلم قائلةً: «أنا مسرورة أنك جئت، لسوف أساعدك في غسل رأسك».

غسلت رأسه بالصابون بطريقة جعلت الصابون يغطي رأسه. ثم أخذت قبقابيها الخشبيين الثقيلين وربطتهما معاً بمنشفة الحمام وأخذت تضربه بهما دون رحمة حتى أنه فيما بعد لم يستطع الحراك بسبب ما به من أورام وكدمات. هربت البنت بسرعة وجرت المسافة كلها عائدةً إلى منزل والديها.

وسرعان ما استعاد المعلم وعيه، وغسل الصابون عن رأسه، وارتدى ثيابه، وعاد هو الآخر إلى البيت. وبعد أكثر من أسبوع، كان لا يزال يشعر بتأثير ما ناله من عقوبة. وانتقاماً من البنت كتب رسالة لوالديها ذكر فيها أنها هربت من رعايته بعد أن سرقت نقوده.

حين استلم الوالدان الرسالة، كانا - بطبيعة الحال - مصعوقين غاضبين. كلفا ابنهما أن يرجع على وجه السرعة إلى موطنه، ويأخذ البنت الخسيسة إلى قمة جبلٍ ويقتلها، ويرجع ملابسها المبقعة بالدم كدليل على أنه حقق المهمة.

عاد الفتى، وأمسك بأخته، وأخذها إلى قمة الجبل. لكن قلبه لم يطاوعه على قتلها، فأطلقها لتذهب حيثما أرادت. أما فيما يخص برهانه على أنه نفَّذ ما أوكل إليه، فقد قطع قدمه قليلا ولطخ رداء أخته بالدم الذي نزف من جرحه، ورجع به إلى أبويه.

بعد أن تركها أخوها، مضت الفتاة في اتجاهٍ معاكس، وراحت تهيم في الجبال، وتجتاز السهول والوديان، حتى وصلت إلى نبع. وبينما كانت تستريح أبصرت سلطان تلك البلاد يصطاد مع وزيره، ولخوفها منهما تسلقت شجرةً وأخفت نفسها بين الأوراق.

وداء الصيادان إلى النبع، قال السلطان لوزيره: «أيها الوزير، سوف أتوضأ هنا وأصلي عدة ركعات».

وبينما كان يصلي ويدعو الله، رفع السلطان رأسه إلى أعلى وأبصر الفتاة في الشجرة، وبدت له جميلة مثل شمس الظهيرة. فرغ من صلواته، واستدار إلى الوزير، وقال: «لقد اكتشفت طريدتي!».

متطلعاً إلى الفتاة، سألها: «هل أنتِ ملاكٌ أم جنّية؟».

ردَّت: «لست ملاكاً ولا جنية، بل طفلة من ترابٍ مثلك».

ناشدها السلطان أن تنزل، ففعلت، وعادوا معاً إلى القصر حيث انقضت ثلاثة أيامٍ وثلاث ليال من المرح والسرور، صارا بعدها زوجين.

في أحد الأيام، قصت الفتاة للسلطان حكايتها، وأخبرته في الوقت ذاته كم هي مشتاقة لرؤية أبويها وأخيها. تعاطف السلطان معها وأمر بإعداد العدة لرحلتها. أرسلها بمعيّة وزيره، طالباً منه أن يعود مصطحباً معه والدي السلطانة إن كانا يريدان المجيء. وفي اليوم المحدد، رحلت السلطانة مع الوزير ومجموعة قوية من الجند.

بعد السفر لأيامٍ عديدة وصلوا إلى أسفل جبل حيث قرروا أن ينصبوا خيامهم لقضاء ليلتهم. وفي منتصف الليل، دخل الوزير خيمة السلطانة وقال:

«أنتِ ملكٌ لي تماماً كما أنت ملك للسلطان لأننا عثرنا عليك معاً نحن الاثنان. وبما أنكِ قد تزوجت السلطان بدلاً مني، فإنني سأقتلك».

توسلت السلطانة المسكينة الوزير، قبل أن يقتلها، أن يسمح لها أن تصلي للحظات فقط، فرخَّص لها، لكنه، لكي يضمن ألا تهرب، ربطها بحبل من خصرها وأوثقها بإحكام. مربوطة على هذا النحو، انعزلت بركنٍ آخر في الخيمة، حيث، وبرعاية إلهيَّة، استطاعت أن تحرِّر نفسها وتلوذ بالفرار.

في تلك الأثناء، ضجر الوزير من الانتظار، وذهب يبحث عن الفتاة. كم كانت دهشته أن وجد الحبل مربوطاً حول حجر، وما من أثر للسلطانة! أيقظ جنوده من نومهم واختلق لهم حكاية بارعة عن كيف حاولت السلطانة أن تقتله، وبعدها لاذت بالفرار. واتخذ قراراً بأن تُفكَّ الخيام ويعودون إلى موطنهم.

أسرعت السلطانة الهاربة تحث السير صوب منزل أبويها. وفي الطريق قابلت راعياً وتوسلت إليه أن يعطيها ملابس رجل مقابل ملابسها الغالية الفاخرة. لم يعترض الراعي على مثل هذه المقايضة المربحة. متنكرةً الآن في زي رجل، دخلت دكاناً تُصنَّع فيها الحلوى وتباع وطلبت أن تُوظَّف كعاملة مساعدة. قُبِلت للعمل

في الدكان، وانتشر الخبر بأن فتىً وسيماً يعمل مساعداً جديداً في دكان الحلوى ويتمتع ببراعةٍ فائقة في صناعة ألذّ المربى وأطيبه.

كان والد السلطانة الآن قد تقاعد من عمله كصانع أمشطة، وافتتح بدلاً من ذلك مقهى. وكان أحد المترددين على دكان الحلوى لرؤية المساعد المشهور الجديد. عرف صانع الحلوى المتنكر أباه في الحال، ولم يكن مستغرباً أن لا يتعرَّف الأب على ابنته.

سنعود الآن إلى جلالة السطان. فمنذ عودة الوزير الخائن بتقريره الكاذب لم يعد السلطان يجد للسكينة طعماً. كان على الدوام يستغرق في التفكير بزوجته المفقودة، متنهداً حيناً، ومتوجعاً باكياً حيناً آخر. قال ذات يوم للوزير: «أنا أُريد زوجتي أيها الوزير. عليَّ العثور عليها أو أموت».

اعترض الوزير دون جدوى. أخذ السلطان الوزير معه، وغادر القصر، وانطلق باحثاً عن السلطانة.

بعد تجوالٍ طويل، وصلا إلى المكان الذي تقيم فيه فعلاً، ومتعباً جائعاً بحث عن نُزل. أخبره الناس أن ليس في ذلك المكان نزلٌ، ولكن ثمة دكاناً فيه فتىً وسيماً يبيع أفضل ما يأكله الناس من حلويات.

قرر السلطان والوزير أن يجربا ذلك المكان الذي يمتدحه الناس، فسارا إليه. وما أن دخلا إلى الدكان حتى عرفتهما السلطانة معاً، أما هما فلم يتمكنا من التعرف عليها في زي فتى الدكان. قال السلطان واضعاً عدة بارات: «خذ، أيها الشاب، دعنا نتذوق حلواك».

قال الشاب: «إن أنت أقمت لليلةٍ هنا، يا سيدي، فسأصنع لك حلوى خاصة، وإلى جانب الحَلوى سأقص عليك قصةً غريبة».

ومن دون مبرر يذكر، انجذب السلطان إلى الفتى الوسيم، وقبل راضياً أن يبيت في المكان ويستمع إلى ما يود الشاب أن يقوله.

نُظِّمت فعالية «حلوى المساء»، وطلب من الشاب صانع الحلوى الماهر أن يأتي ويعدُّ الكيك للمناسبة. ردَّ الشاب على هذه الدعوة بقوله.

«يسرني أن آتي، لكن عندي ضيفين».

ردَّ المندوبون مقرِّين بالعذر، قائلين: «أحضر الضيفين معك، سنكون سعداء بالترحيب بهما، وسنخصص لهما مكاني ضيفي الشرف».

وهكذا رُتِّب الأمر، وفي المساء ذهب الثلاثة معاً إلى وليمة الحلوى. اختيرت الأماكن، وغاب صانع الحلوى في المطبخ ليعدَّ الكعك.

ولما صار كل شيء جاهزاً ظهرت مرةً ثانية والأطباق والشواء في يديها ودخلت وسط الضيوف متعرِّفةً، إلى جانب السلطان والوزير، على أبيها وأخيها والمعلم.

وبينما كانت توزع الحلوى، تكلمت كما يلي: «ما دمنا هنا للترفيه، فليحك كلُّ واحدٍ منا حكاية عن حياته الخاصة».

وبدأ الحديث، ورُوِيت الكثير من الذكريات الشخصية الممتعة. عندئذٍ، جاء دور صانعة الحلوى التي اشترطت قبل أن تبدأ قصتها ألاّ يغادر أحدٌ الغرفة أثناء سردها حكايتها، وقالت: «إن كان على أحدٍ أن يغادر فليغادر الآن».

قال الحاضرون: «لن يغادر أحدٌ هذا المكان».

اتخذت مجلسها أمام الباب المغلق، وبدأت تحكي قصتها. بدأت حكايتها من زيارتها إلى الحمام، فنهض المعلم معلناً أنه يشعر بالتوعك ولابدّ له من من الخروج إلى الهواء الطلق. أمرته القاصة بنبرةٍ ساخرة موبخة: «اجلس!».

ثم واصلت الحديث، فوصفت مسلك الوزير الآثم الحقير.

والسلطان يصغي كالمسحور، فاضت عيناه بالدموع لأنه هو الوزير والمعلم وأبوها وأخوها مجتمعين فهموا الحكاية. ولما انتهت من سرد المعاناة الفظيعة والأذى الذي عانته، صاحت: «اعلموا، يا مستمعيَّ أن ذلك الوزير والمعلم كانا عدويَّ وهما الآن معنا الليلة في هذا الجمع، وكذلك هو الحال مع أبي وأخي وزوجي، السلطان».

وبعد هذه الكلمات جرت إلى زوجها الذي احتضنها إلى صدره باكياً ذارفاً دموع الفرح.

في اليوم التالي، استدعى السلطان الوزير والمعلم وسألهما أن كان يفضلان أربعين بغلاً أو أربعين سكيناً. ردًا: «أربعون سكيناً لأعدائنا، ولنا نحن أربعون بغلاً».

أُوثِقا بشدة إلى أربعين بغلاً فمزقتهما مزقاً، وكانت تلك نهايتهما.

وبعد أن مكثا سعيدين لبعض الوقت مع أبيها وأمها وأخيها في منزلهم القديم، عادت السلطانة وزوجها إلى قصرهما ليبدءا حياة جديدة بعد فترة طويلة من الحزن والأسى والفرقة القاسية عن بعضهما بعضاً.

علم التنجيم

كان لراع زوجةٌ وولدان، وكان كل يومٍ يجمع كل أغنام الحي ويسوقها لترعى في مرج يمتد بين جبلين. وفي المساء يعود بها إلى مالكيها الذين يعطونه من خمس إلى عشر بارات مقابل خدمته، وعلى هذا الدخل كان يعتمد في عيشه هو وأسرته.

مات الراعي ذات يوم وتولّى ابنه الأكبر القيام بعمل أبيه. ولم ينقض وقتٌ طويل حتى لحقت الزوجة بزوجها، وأثر فقدان الأبوين كثيراً جداً على الولد الصغير إلى درجة أنه لم يعد يطيق البقاء في البيت، فاضطر إلى الرحيل.

ظل يجوب الجبال والتلال لأسابيع عديدة حتى لاحت له منارات بغداد من بعيد. وفي المدينة راح يذرع الشوارع حتى قابل في أحد الأيام رجلاً ابتدره بالحديث قائلاً: «من أين قَدِمت، يا بنيّ؟ وما الذي تفعله هنا؟ وما اسمك؟».

ردَّ عليه الفتى: «لقد جئت من بلاد أجنبية، وأنا أبحث عن عمل، واسمي محمد».

عرض عليه الرجل أن يعمل في خدمته فوافق الفتى، ومضيا إلى منزل الرجل. كان على محمد أن يرتب المنزل كل يوم، وقد بذل ما وسعه من جهد كي يسرَّ سيده ويفوز برضاه. وفي أحد الأيام دعاه الرجل وقال له: «محمد، يا بني، خذ هذا الحبل وهذا الكيس، وهيا بنا».

ارتحلا مدةً طويلة حتى وصلا أسفل جبل من الجبال، حيث وجدا بئراً، وبعد أن أزاحا الألواح الحجرية التي تغطي البئر قال الرجل للفتى: «والآن، يا محمد، استمع إليَّ. سأدعك تنزل إلى البئر بواسطة الحبل. املأ الكيس بما قد تجده في قعر البئر ثم اربطه بالحبل وسأسحبه إلى هنا، وبعد ذلك سأرمي لك بالحبل لكي تصعد».

وصل محمد إلى قعر البئر، فانبهرت عيناه المدهوشتان بما رآه. لقد أبصر أكواماً من الذهب والفضة واللؤلؤ والماس. وفي الحال ملأ الكيس وربطه بالحبل وسحبه الرجل إلى الأعلى. بعد ذلك، ومن المحزن أن نحكي، أعيدت الألواح الحجرية إلى موضعها السابق، وترك محمد المسكين لمصيره.

وبينما هو يتحرك يمنة ويسرة في قعر البئر مفكراً بحاله وما عسى أن يحدث له، أبصر ممراً ضيقاً. وعلى الفور أخذ يسير فيه حتى أدركه الإعياء ووصل إلى طرف أحد الوديان. جلس ليستريح ويفكر بوسيلة تمكنهُ من الانتقام من نذالة الرجل الذي خدمه بإخلاص وبذل معه كل جهد. ولما استعاد بعض نشاطه، نهض، وغيَّر ملابسه في مكانٍ ما في طريقه، وأخيراً وجد نفسه ثانيةً في المدينة.

متسكعاً في المدينة، مَن مِن الناس يبغي رؤيته سوى ذلك الرجل الذي كافأه بتلك الحيلة المؤسفة في البئر. لم يتمكن سيد محمد السابق من التعرف عليه وهو في ملابسه المختلفة، فسأله: «من أين قدِمت، يا بني؟». أجابه محمد أنه كان تاجراً في مدينة كذا وكذا، لكنه بعد أن سرقت كل ممتلكاته جاء يبحث عن عمل. سأله الرجل: «هل تود أن تعمل في خدمتي؟».

«بكل سرور». وأخبره أن اسمه صار حسن، وذهبا معاً إلى البيت.

بعد عشرة أيام، دعا الرجل خادمه، وقال: «يا حسن، خذ هذا الحبل وهذا الكيس، وهيا بنا».

تبيَّن أن غاية رحلتهما هي الغاية نفسها من الرحلة السابقة - البئر. قال له الرجل:

«سأدعك، يا حسن تنزل إلى البئر بواسطة الحبل، فاملأ الكيس بما قد تجده في قعرِ البئر، ثم...».

توقف ولم يكمل لأن محمداً، وليس حسن قاطعه غاضباً: «أنت، أيها الخسيس، لقد خدعتني من قبل، وأنت تنوي الآن أن تتركني في البئر للمرة الثانية، أليس كذلك؟».

ثم هجم عليه بسكين وحزّ رأسه وقذف به إلى البئر وأعاد الألواح الحجرية إلى موضعها وعاد إلى المدينة.

استقر الآن في منزل بعد أن أثثه أثاثاً فاخر، وعاش في سعادة بعد أن أخذ يستمد ما يحتاج إليه سراً مما اكتشفه من كنز في قعر البئر. صار معروفاً بكونه أثرى رجل في السلطنة كلها.

وحدث أن أعلن السلطان وقتها الحرب مع البلد المجاور، لكن، لما لم تتوفر النقود الكافية، فقد جمع الذهب من كل مكان لتغطية تكاليف الحملة. ولأن محمداً كان يمتلك ثروة طائلة ساهم بسخاء فاستطاع السلطان بواسطة ذلك أن يهزم عدوه. لكن السِّلْم لم يكد يُوقّع عليه، حتى مات السلطان. اجتمع كبار رجال

البلاد للتشاور، ولما كان محمد هو أكثر الناس ثراءً، قرروا أن يختاروه لمنصب السلطان، وهذا هو ما كان. وبعد نقاش طويل، أتُّخذ قرار بتعيين معلم ليتولى تعليم السلطان ذلك أنه لم يكن قادراً لا على القراءة ولا على الكتابة. اختير معلمٌ مناسب وبدأ تعليمه. وفي إحدى الليالي قال المعلم لسيده وتلميذه: «يا مولاي السلطان، لابدّ لي من تعليمك علم التنجيم».

سأل السلطان: «ما هذا؟ وما فائدته؟ فلنتعلَّم شيئاً آخر».

عندئذٍ قال المعلم: «بجوار السلَّم في الخارج يوجد كتاب، احضره، وسأشرح لك ما هو علم التنجيم».

أخذ السلطان شمعةً وخرج من الحجرة ووجد فعلاً كتاباً ملقى أسفل السلَّم. وضع الشمعة في القاع، وحمل الكتاب، وكان على وشك أن يرجع إلى الغرفة وإذا بطيرٍ ضخم يلتقطه ويطير به. حلَّق به مسافة طويلة، ثم حطَّ ووضعه في مكانٍ مجهول وتركه هناك. ولما كان الظلام دامساً، بقي السلطان حيث هو حتى طلع الصباح. ولما تلفَّت حوله وجد أنه كان قريباً من إحدى المقابر.

سار إلى أقرب مدينة، وأخذ يذرع الشوارع سائلاً العابرين عن المسافة إلى بغداد. ما من أحدٍ كان قادراً على إرشاده إذ بدا ألاّ أحد قد سمع بمدينة بهذا الاسم. واصل سيره، واستفساراته، فأجابه شيخٌ طاعن في السن: «لست أعرف أين هي بغداد هذه، لكن أبا جدي كان هناك قبل مائتي سنة. هذا ما سمعت أبي يذكره ذات مرة، أما كم تبعد من هنا فلا علم لي بذلك».

أطلق السلطان زفرة حرىً وقد ظن أنه لن يصل بغداد ثانية أبداً. وتدريجياً أخذ السلطان يستسلم لمصيره. دخل أحد المقاهي لينال كوباً من القهوة ويدخِّن غليوناً.

وعندما نهض ليدفع ثمن القهوة، اكتشف فزِعاً أن كيس نقوده غير موجود. أخبر صاحب المقهى عن ورطته، ثم عاد إلى المقبرة وأخذ يبحث آملاً أن يجد كيس النقود الضائع، غير أن ذلك كان بلا طائل. رجع إلى المقهى منفطر القلب، فأرشده صاحب المقهى إلى أن رجلاً في السوق يمكن أن يساعده في العثور على نقوده.

بحث السلطان عن الرجل المطلوب، وحكى له سوء حظه. سأله الرجل عن نوع كيس النقود فأجابه السلطان: «أحمر وأزرق».

فتح الرجل دولاباً وأخرج الكيس المطابق وسأل: «أهذا هو؟».

«نعم، إنه هو!».

رد السلطان مذهولاً متعجباً من السبيل الذي جعل هذا الرجل يحصل على الكيس. سرَّ لاستعادة كيس نقوده. أحبَّ المدينة وقرر أن يمكث فيها في الوقت الحاضر.

عاد بعد أيام إلى المقهى وأخبر صاحبه أنه ينوي أن يتزوج وسأله إن كان باستطاعته أن يقترح عليه عروساً مناسبة.

سأل القهوجي: «بكر أم ثيِّب؟».

«لا فرق عندي طالما كانت أمينة وشريفة».

نصحه القهوجيّ أن يذهب مرةً ثانية إلى السوق حيث سيجد رجلاً يمكنه أن يتدبر له زوجة ملائمة. بحث محمد عن الرجل وأطلعه على مراده. فردَّ عليه تلقائياً أن الشخص الذي يبحث عنه هو في عنوان كذا وكذا وهو رجله المطلوب ولديه أرملة مناسبة من كل ناحية. عندئذٍ كتب في ورقة وأعطاها إلى محمد قائلاً له أن يأخذها إلى الإمام، الذي سيقدم له المرأة.

قرأ الإمام الورقة وخاطب محمداً كما يلي: «هذا الأمر يمكن تدبيره بسهولة. إن أنت تزوجت هذه المرأة، فإن عليك أن تحذر من التدخل في الشؤون الإلهية، وإلا فإنك تسعى إلى حتفك».

قبل محمد، وتزوج الاثنان، وذهبا بعد ذلك إلى بيت المرأة.

في اليوم التالي، أعطت المرأة زوجها مئة قطعةٍ ذهبية وقالت: «خذ هذه النقود وافتح دكاناً، لكن تأكد من أنك تبيع كل البضائع بسعر التكلفة».

وعملاً بنصيحة زوجته افتتح محمد دكاناً في السوق وراح يبيع كل شيءٍ بسعر التكلفة تماماً. وهكذا أدار عمله يوماً بعد يوماً وسنةً بعد سنة حتى حل اليوم الذي بيعت فيه كل بضاعته ولم يعد يملك نقوداً ليشتري بضاعة جديدة. سأل زوجته محزوناً: «ماذا نفعل الآن؟».

فتحت المرأة دولاباً، وأخرجت منه صرة، وعدَّت مئة قطعة ذهبية، وقالت: «هذه مئة قطعة ذهبية أخرى، اشترِ بضاعةً وبعها كما فعلت من قبل».

قال: «لكن، يا عزيزتي، ما جدوى هذا؟ لقد تاجرت بنقودك الأولى بدون ربح حتى نفد المبلغ كله، وأنتِ الآن تعطينني نقوداً أخرى وتطلبين مني أن أتاجر بالطريقة ذاتها! كيف هذا؟».

ردَّت المرأة: «هذا أمر الله، وليس لنا أن نتدخل».

لكن محمداً أصَّر على تمحيص جوهر المسألة، ولما أزعج ذلك زوجته، فتحت النافذة وأخذت تصيح: «يا جيراني الأعزاء، النجدة! زوجي يتدخل في أمور الله. النجدة!».

وفي الحال، تعالى الصخب والضجيج: أقبل الجيران إلى المنزل مسلحين بعصيٍّ انهالوا بها على محمد، ولم يكن أمامه من سبيل سوى أن يفر هارباً بجلده من تلك المدينة.

وبينما هو في هذه المحنة انقضَّ عليه طائرٌ ضخم مرة ثانية، وأمسك به وحمله بعيداً حتى وصل به إلى أسفل السلَّم حيث التقطه منذ سنوات عديدة. لاحظَ أن الشمعة لا تزال في موضعها مضاءة كما وضعها هو، وأن كل شيء آخر باقٍ كما هو دون أدنى تغيير. أخذ الكتاب الذي سقط عندما التقطه الطائر في المرة الأولى ومضى به إلى المعلم.

سأله المعلم: «لماذا تأخرت كل هذا الوقت؟».

فقص عليه السلطان مغامراته كلها. رد المعلم: «الآن، عرفت ما هو علم التنجيم».

أولى السلطان أهمية بالغة لكلمات معلمه، وقبَّل يده، وكرَّس نفسه بذكاءٍ لتعلُّم القراءة والكتابة.

الحابل بالنابل

كنا ثلاثة إخوة، اثنان منا ساذجان، وما من واحد يتمتع بأدنى قدر من الفهم السليم. ذهبنا إلى صانع الأقواس واشترينا ثلاثة، اثنان منهما كانا مكسورين والثالث ليس فيه وتر.

وفي جدولٍ ليس فيه قطرة ماء واحدة كانت تسبح ثلاث بطات، اثنتان منهما ميتتان والثالثة لم تكن فيها أدنى علامة على الحياة. اصطدنا واحدةً بسهم، وأخذناها بيدنا، وجبنا السهل والجبل نشرب القهوة وندخّن التبغ ونقطف أزهار الخزامى والياقوتية حتى قطعنا مسافة تقدَّر بسنبلة شعير.

واصلنا سيرنا حتى وصلنا إلى ثلاثة منازل، اثنان منهما كانا أطلالاً والثالث لم يكن له أي أساسات. وهناك ثلاثة رجال راقدون، اثنان منهما ميتان، والثالث لا حياة فيه. سألنا الميتين أن يعطونا وعاءً لنطبخ فيه بطتنا، فأرونا ثلاثة دواليب، اثنان مكسوران والثالث لم يكن له جوانب. في تلك الدواليب وجدنا ثلاثة أطباق، اثنان مليئان بالثقوب، والثالث بدون قاع. في الطبق الذي بلا قاع طبخنا بطتنا. قال أحدنا: «لقد أكلت كفايتي».

وقال الآخر: «لا شهية لي».

وقلت أنا: «لا مزيد، شكراً».

ذلك الذي قال إنه أكل بما فيه الكفاية، أكل البطة كلها، وذلك الذي قال ألا شهية لديه، أكل عظامها، وهذا هو السبب الذي جعلني أشعر بالجوع فهرعت إلى حقل البطيخ.

أخرجت سكيني من حزامي وقطعت البطيخ. حيث كانت سكيني، كنت أنا. قابلت قافلة، سألت أين سكيني. أجابوني: «منذ أربعين سنة ونحن نبحث عن اثني عشر جملاً أضعناها. ولما عجزنا عن العثور عليها، فكيف تظنُّ أن باستطاعتنا أن نعثر على سكينك؟».

لذلك مضيت غاضباً ووصلت إلى شجرة. بجوارها سلةٌ وضع أحدٌ ما بداخلها رجلاً مقتولاً. عندما نظرت فيه رأيت أربعين لصاً آتين، فأطلقت لساقي العنان، فجروا بعدي. جريت حتى انقطع نفسي ووصلت إلى جامع مهدَّم، جلست في فنائه لأستريح. لحق بي اللصوص وأخذوا يطاردونني حول الفناء حتى اضطررت في ذروة يأسي أن أتسلق إلى رأس المنارة. استلَّ أحد اللصوص سكينه وأقبل نحوي، زعقت بصوتٍ عالٍ فأفلتت قبضتي وسقطت إلى الأرض.

وبرعبٍ بشريٍّ، فتحت عيني فجأة لأكتشف أنني كنت أحلم.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة






ISBN 978-9948-01-518-5